تذكير المسلمين بقصص

زواج الصالحين

تأليف / محمد بن عوض المصري



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٧٨٠٣/ ٢٠٠٨م

الترقيم الدولي: I.S.B.N

٩٧٧- ٦١٦٨- ٦٠- ٤

المصري؛ محمد بن عوض
كتاب: تذكير المسلمين بقصص زواج الصالحين
تأليف: محمد بن عوض المصري
دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨

دار الصفا والمروة

للنشر والتوزيع

١٨٥ ش جمال عبد الناصر - نهاية نفق سيدي بشر

الإسكندرية ت: ٠٣/٥٤٩٦١٠٧ فاكس: ٠٣/٥٥٦٧١٣٤

Email: safa.meraw@yahoo.com

safa.merwa@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمد عبده ورسوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

وبعد،،،،

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدى هدى محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة في النار.

وبعد،،،،

فإن الزواج فطرة الله، وسنة الأنبياء، يصون النفس، وبه تحفظ الصحة، وتحصل المودة والرحمة، ومن أجل ذلك حرص الإسلام على يسر الزواج، ولقد زخر التاريخ الإسلامي بنماذج فريدة في سلوكها طريق الآخرة بالزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة.

هذه النماذج الربانية التي جعلها سبحانه وتعالى لنا أسوة وقدوة فقال: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

لذلك كان لابد من أن نتعلم متن سيرهم؛ فنتخذ منها العبر والفوائد كما قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [يوسف: ١١١].

ولقد انتشر بحمد الله وفضله في زماننا هذا أعلام السُنة، ونشرت مؤلفات تروى تاريخهم، وجوانب من حياتهم، وحتى أصبحت الكتب التي تتحدث عنهم بفضل الله ﷻ من أوسع الكتب انتشارًا، ولكن للأسف كان هناك تركيزٌ على جوانب معينة، وإهمال لجوانب أخرى، ومن هنا استعنت بالله ﷻ على جمع مادة هذا الكتاب، وكان الدافع من وراء هذا الجمع عدة أسباب منها:

١- تعلق القلوب بالدنيا، وإهمال الآخرة.

٢- الشغف الشديد بين الشباب بقصص الغرام التي تدعو إلى التبرج والسفور.

٣- عدم اهتمام الشباب والفتيات بأهمية الإسلام في حياتهم، خصوصًا في بناء الحياة الزوجية، إلا من رحم ربى.

٤- لهث الأباء والأمهات وراء المظاهر المادية دون الاهتمام بالقيم الإسلامية.

٥- الانشغال بتقليد الغرب الكافر، والالتزام بالعادات البالية في أمر الزواج؛ مما أدى إلى انتشار الفساد والفوضى بين العباد، وهذه القصص تذكير للنفوس بما كان عليه أجدادنا المسلمين الأوائل من قبل، وكيف كانت حياتهم سعيدة بالتزامهم بشرع الله ﷻ، واتباع سنة النبي ﷺ.

و قد كانت حياة أولئك الكرام عبرة نافعة، وموعظة حسنة، جديرة بأن نقتدي بها، ونقتفى أثرها.

إن الأمة اليوم في حالة من الضياع والتيه لا يعلمه إلا الله من كثرة المشاكل، وضيق في الأرزاق، وفساد في الأخلاق، ولا حل لها، ولا عودة، ولا نجاة لها إلا بالعودة للإسلام كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لقد كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام فمهما ابتغينا العزة في غيره أذلنا الله.

فيا عباد الله دونكم هذا القصص فاقتدوا بما فيها، وتمعنوا بالنظر في معانيها، حجة عليكم؛ فأعملوا بما أمر الله سبحانه وتعالى، ورسوله الكريم ﷺ.

نسأله سبحانه وتعالى العفو والتقى والعفاف والغنى إنه سميع مجيب الدعاء.

و أخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى أله وصحبه وسلم.

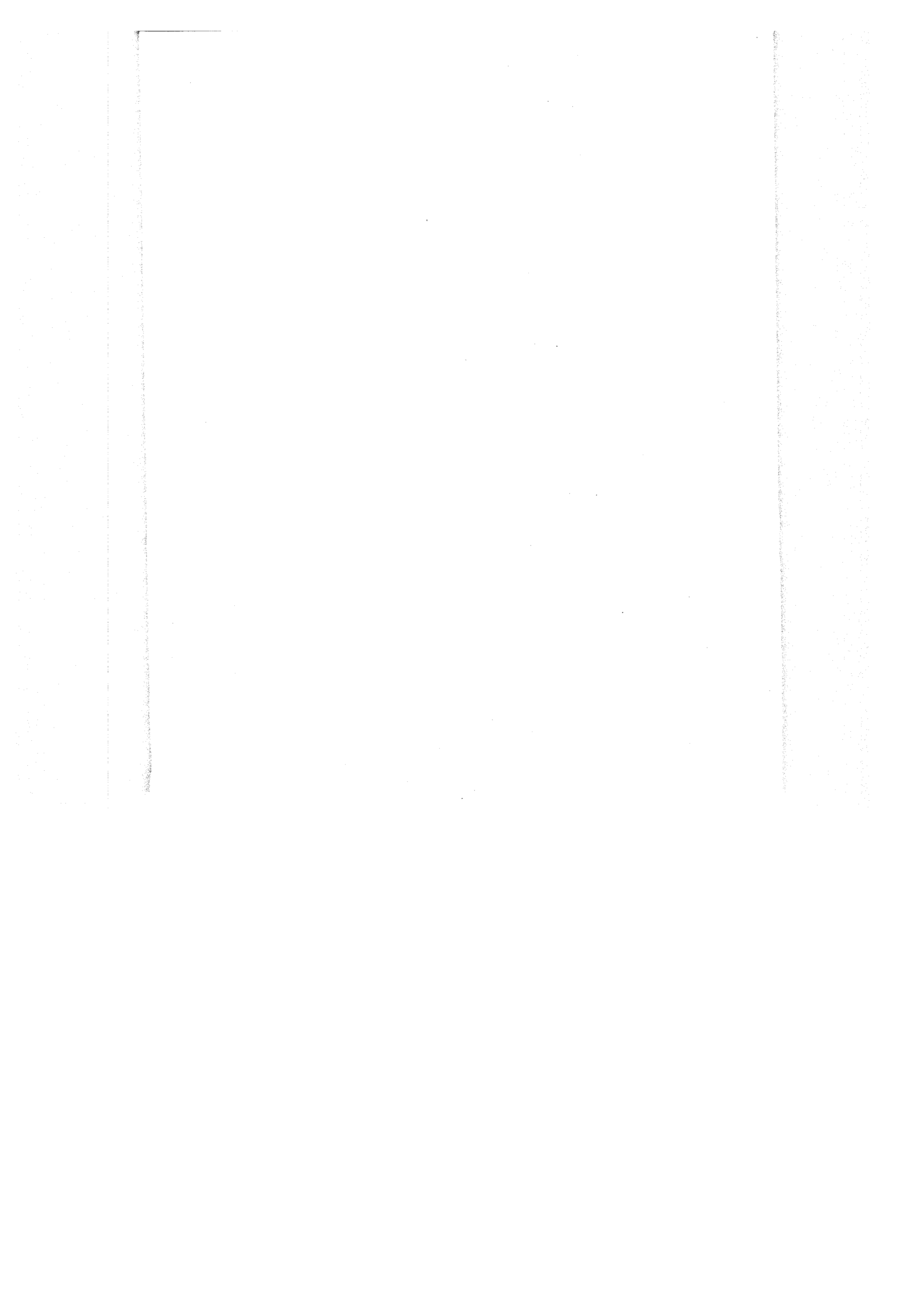
كتبه

محمد عوض عبد الغنى

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

ولجميع المسلمين

❐★❐★❐



زواج موسى عليه السلام

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ۚ فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَىٰ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾ [القصص: ٢٢ - ٢٨].

هذا موسى عليه السلام يخرج من مصر بعد أن علم أن فرعون بلغه أن موسى قتل ذلك المقتول بالأمس، وجاء إليه رجل ناصح له لكي ينجو من القوم الظالمين وصل موسى عليه السلام إلى مدين.

وجد موسى عليه السلام بئرًا يستقى منه الناس، ووجد من دون الناس فتاتين لا يختلطون بالناس فسألهما عن السبب: ﴿مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾: أي لا نقدر على ورود الماء إلا بعد رحيل الرعاة لضعفنا، وسبب مباشرتنا لهذه الرعية ضعف أبينا، وكبر سنه.

قال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾.

قال المفسرون: وذلك أن الرعاة كانوا إذا فرغوا من ورودهم وضعوا على فم البئر صخرة عظيمة، فتجيء هاتان المرأتان فيشربان عنهما في فضل أغنام الناس، ولما كان ذلك اليوم جاء موسى فرفع تلك الصخرة وحده، ثم استقى لهما، وسقى عنهما، ثم رد الحجر كما كان.

قال أمير المؤمنين عمر ﷺ: وكان لا يرفعه إلا عشرة، وإنما استقى ذنوبًا واحدًا فكفاهما، ثم جلس موسى عليه السلام في الظل وقال: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ سمعته المرأتان، فذهبتا إلى أبيهما؛ فاستنكر سرعة رجوعهما؛ فأخبرتاه بما كان من أمر موسى عليه السلام، فأمر إحداهما أن تذهب إليه فتدعوه: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ﴾ أي مشى الحرائر.

﴿قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾

صرحت له بهذا الكلام لئلا يوهم كلامها ريبة، وهذا من تمام حيائها وصيانتها.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ﴾ وأخبره خبره، وما كان من أمره في خروجه من بلاد مصر فرارًا من فرعونها.

قال له ذلك الشيخ: ﴿لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي خرجت من سلطانهم، فلست في دولتهم.

قالت إحدى البنتين لأبيها: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ﴾ أي: لرعى غنمك، ثم مدحته بأنه القوى الأمين.

قال لها أبوها: وما علمك بهذا؟

فقالت: إنه رفع صخرة لا يطيق رفعها إلا عشرة رجال، وأنه لما جئت معه تقدمت أمامه، فقال: كوني من ورائي، فإذا اختلف الطريق فاقذفي لي بحصاة أعلم بها كيف الطريق.

فأجر موسى عليه السلام نفسه لعفة فرجه، وطعمة بطنه.

قال تعالى: ﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَىَّ ۖ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

قال موسى لصهره: الأمر على ما قلت، فأيهما قضيت فلا عدوان على، والله على مقالنا سامع وشاهد ووكيل على وعليك، ومع هذا فلم يقض موسى إلا أكمل الأجلين وأتمهما، وهو العشر سنين، كوامل تامة، ثم عاد موسى عليه السلام مع أهله إلى مصر.

المستفاد من القصة:

١- أن من توكل على الله ودعاه كفاه أمره، ويظهر هذا من دعاء موسى ﷺ: رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير.

٢- أن من صفات المرأة الصالحة الحياء، والحياء كما أخبر النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الإِسْلامِ الحَيَاءُ»[1].

٣- جواز عرض الفتاة على رجل صالح، أمين على عرضه، يغار على شرفه، وهذه سنه قائمة.

❐★❐★❐

---

(١) الموطأ: كتاب حسن الخلق – باب ما جاء في الحياء (١٦١٠)، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد – باب الحياء (١٤١٨)، وحسنه الألباني في صحيح ابن ماجه (٣٣٧٠).

ثمرة الأمانة

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

اشترى رجل من رجل عقارًا له، فوجد الرجل الذي اشترى العقار في عقاره جرة فيها ذهب.

فقال الذي اشترى العقار، خذ ذهبك مني، إنما اشتريت منك الأرض، ولم أبتع منك الذهب، فقال الذي شرى الأرض: إنما بعتك الأرض وما فيها، قال: فتحاكما إلى رجل، فقال الذي تحاكما إليه: ألكما ولد؟

فقال أحدهما: لي غلام، وقال الآخر: لي جارية.

قال: أنكحوا الغلام الجارية، وأنفقوا على أنفسكما منه، وتصدقا[١].

وفي هذه القصة بيان لعاقبة الصدق والأمانة، وأن حسن المعاملة ترجع بالخير على أهلها، وأن الله ﷻ يجزيهم عليه في الدنيا قبل الآخرة.

❑★❑★❑

(١) صحيح: رواه مسلم (١٧٢١).

زواج النبي ﷺ بحفصة رضي الله عنها

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد مات زوج ابنته حفصه رضي الله عنها:

لقيت عثمان بن عفان، فعرضت عليه حفصه، فقلت: إن شئت أنكحتك حفصه بنت عمر.

فقال: سأنظر في أمري.

فلبث ليالي ثم لقيته، فعرضت ذلك عليه.

فقال: قد بدا لي أن لا أتزوج.

فلقيت أبا بكر فقلت له: إن شئت أنكحتك حفصه بنت عمر، فصمت، ولم يرجع لي شيئًا، وكنت أوجد عليه منى على عثمان، فلبث ليالي، ثم خطبها رسول الله ﷺ فأنكحتها إياه، فلقيني أبو بكر.

فقال: لعلك وجدت على حين عرضت على حفصه فلم أرجع عليك؟

قال: قلت: نعم.

قال أبو بكر: فإنه لم يمنعني أن أرجع إليك فيما عرضت على إلا أنى كنت علمت أن رسول الله ﷺ قد ذكرها، فلم أكن لأفشى سر رسول الله ﷺ، ولو تركها ﷺ لقبلتها[1].

المستفاذ من القصة:

١- أنه ينبغي لى من عُرض عليه الزواج أن يقدر ذلك، ويشكر صاحبه على حسن الظن، وليتلطف في الاعتذار للولي.

٢- أن من الخير إذا ترملت المرأة أو طلقت أن يسعى لها وليها وأقاربها في الزواج.

❑★❑★❑

(١) رواه البخاري(٩/ ١١٣) في النكاح - باب من لا ولي له.

زواج ابنة النبي ﷺ

أخرج البيهقى في الدلائل عن على ﷺ قال: خطبت فاطمة إلى رسول الله ﷺ فقالت مولاة لي: هل علمت أن فاطمة قد خطبت إلى رسول الله ﷺ؟

قلت: لا.

قالت: فقد خطبت، فما يمنعك أن تأتى رسول الله ﷺ فيزوجك.

فقلت: أو عندي شيء أتزوج به؟

فقالت: إنك إن جئت رسول الله ﷺ زوجك.

قال: فوالله ما زالت ترجيني حتى دخلت على رسول الله ﷺ، فلما قعدت بين يديه أفحمت، فوالله ما استطعت أن أتكلم جلالة وهيبة.

فقال: رسول الله ﷺ: «مَا جَاءَ بِكَ؟ أَلَكَ حَاجَةٌ؟» فسكت.

فقال: «لَعَلَّكَ جِئْتَ تَخْطُبُ فَاطِمَةَ».

فقلت: نعم.

فقال: «وَهَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تَسْتَحِلُّهَا بِهِ؟» أي: مهر.

فقلت: لا والله يا رسول الله.

فقال: «مَا فَعَلَتْ دِرْعٌ سَلَّحْتُكَهَا؟».

فوالذى نفس علىّ بيده، إنها لحطمية[١]، ما قيمتها أربعة دراهم.

فقلت: عندى.

(١) سميت حطمية: لأنها تحطم السيوف وتكسرها.

فقال: «قَدْ زَوَّجْتُكَهَا؛ فَابْعَثْ إِيَّاهَا بهَا فَاسْتَحِلَّهَا بهَا» فإن كانت لصداق فاطمة بنت رسول الله ﷺ وجهز رسول الله ﷺ فاطمة ﵂ خميلا ووسادة حشوها أذخر - أي: قش - فلما كان بعد ما زوجه قال: «يَا عَلِيُّ، إنهُ لابُدَّ لِلْعَرُوسِ مِنْ وَلِيمَةٍ»

قال سعد ﵁ عندي كبش، وجمع الأنصار أصواعًا من ذرة، فلما كانت ليلة البناء.

قال: لا تحدث شيئا حتى تلقاني.

فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه، ثم أفرغه عَلَىَّ فقال: «اللَّهُمَّ بَارِكْ فِيهِمَا، وَبَارِكْ لَهُمَا فِي بِنَائِهِمَا»[1][2].



(١) هذا هو مهر فاطمة ﵂ وهذا هو جهازها، أعظم فتاة، وأعظم شاب عرفهما التاريخ.
هو هو جهاز سيدة نساء العالمين، سيدة نساء أهل الجنة، فاين المقدم والمؤخر، أين المُعجَّل والمُؤجل؟!
كم ترتب على عليٍّ ﵁ من الديون؟
هل استقرض من بنوك الفرس والروم شيئًا من المال ليقدمه مهرًا؟!
هل أعدَّ عليٌّ شقة مفروشة من كل جانب؟!
هل أعد غرفة الجلوس، وغرفة الضيوف، وغرفة الطعام؟
هل أعد غرفة النوم المتعددة؟!
وهل أعد الأنتريه المذهب، والأكواب الصينية، وأحضر السجاجيد الإيرانية؟!
(٢) الإصابة (٤/ ٣٧٩)

زواج أخي بلال رضي الله عنه

خطب بلال رضي الله عنه على أخيه امرأة من بني حل من قريش.

فقال: نحن من قد عرفتم.

كنا عبدين فأعتقنا الله.

وكنا ضالين فهدانا الله.

وفقيرين فأغنانا الله.

وأنا أخطب على أخي خالد فلانة، فإن تنكحوه فالحمد لله، وإن تردوه فالله أكبر.

فأقبل بعضهم على بعض، فقالوا: هو بلال، وليس مثله يُدفع، فزوجوا أخاه.

فلما انصرفا، قال خالد لبلال: يغفر الله لك، ألا ذكرت سوابقنا ومشاهدنا مع رسول الله ﷺ.

قال بلال رضي الله عنه: مه، صدقت، فأنكحك الصدق[1].

المستفاد من القصة:

١- الشكر لله، والاعتراف بفضل الله صفة المؤمن.

٢- الصدق منجاة، وكما قال النبي ﷺ: «**لاَ يَزَالُ الرَجُلُ يَصْدُقُ حَتَى يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِيقًا**».

❏★❏★❏

(١) عيون الأخبار لابن قتيبة (٤/ ٧٣).

مهـر المـرأة

عن عقبة بن عامر قال رسول الله ﷺ لرجل: «**إِنِّى أُزَوِّجُكَ فُلانَةَ**».

قال: نعم.

قال للمرأة: «**أَتَرْضَيْنَ أَنْ أُزَوِّجَكِ فُلانًا؟**».

قالت: نعم.

فزوج أحدهما من صاحبه؛ فدخل عليها، ولم يفرض لها به صداق، فلما حضرته الوفاة قال: إن رسول الله ﷺ زوجني فلانة، ولم أفرض لها صداقا، ولم أعطها شيئا، وإنى قد أعطيتها عن صداقى سهم بخيبر، فأخذت سهمه فباعته بمائة ألف[1].

المستفاد من القصة:

١- سرعة طاعة الصحابة للنبي ﷺ.

٢- أن المهر دين على الزوج يجب إعطائه للمرأة لأن ذلك حقها إلا أن تسامحه في ذلك.

□★□★□

(١) رواه أبو داود (٢١١٧)، والحاكم (٢/ ١٨٢).

مهرها القرآن

جاءت امرأة إلى الرسول ﷺ فقالت: يا رسول الله إني زوجت نفسي لك.

فنظر إليها الرسول ﷺ فصعد النظر إليها وصوّبه، ثم طأطأ رأسه فقامت طويلاً.

فقام رجل فقال: يا رسول الله زوجنيها إن لم تكن لك فيها حاجة.

فقال: «هَلْ عِنْدَكَ شَيْءٌ تُصْدِقُهَا؟».

قال: ما عندي إلا إزاري هذا!

قال: «فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ».

فالتمس فلم يجد شيئًا؛ فقال رسول الله ﷺ: «هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟»

قال: نعم، سورة كذا.

فقال: «زَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»[1]

المستفاد من القصة:

١- أنه لابد للزواج من مهر وصداق.

٢- بيان قدر من يحفظ القران، بأن جعله النبي ﷺ يحفظ زوجته القرآن فيكون هذا مهرها.

❐★❐★❐

(١) صحيح: رواه البخاري، كتاب فضائل الفرآن – باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه(٤٧٤١).

المهـر الإسـلام

ما سمعنا بامرأة قط كانت أكثر مهرًا من أمّ سليم إذ كان مهرها الإسلام (أهل المدينة).

كانت العنيصاء بنت ملحان حين أهل الإسلام بنوره على الأرض، سعيدة مع زوجها مالك بن النضر فأسلمت، وتفتح قلبها لدين الله، ثم دعت زوجها لينهل معها من هذا المنهل الإلهي العذب الطهور.

ويحظى بما حظيت به من السعادة والإيمان.

لكن مالك بن النضر لم يشرح للدين الجديد صدرًا، ولا طاب به نفسا، بل دعا زوجته للارتداد إلى دين الأجداد، فبقيت لا تتزحزح، وزوجها يتعصب لدين الأباء والأجداد.

فما يأس مالك بن النضر من زوجته المؤمنة حتى غادر المدينة متجهًا نحو بلاد الشام، ثم إنه لم يلبث هناك قليلا حتى مات على شركه.

وانتشر خبر وفاته في المدينة؛ فتشوق الكثير إلى الزواج من أم سليم، لولا أنهم يخشون أن تردهم خائبين لأنهم مازالوا على الشرك، وهى على الإسلام.

غير أن زيد بن سهل المكنى بأبي طلحة أطمعه في رضاها به ما كان بينهما من روابط القربى، فكلاهما من بنى النجار، وهو رجل مكتمل الرجولة، مرموق المنزلة، طائل الثروة، وهو إلى ذلك فارس بنى النجار، وأحد رماة يثرب المعدودين.

مضى أبو طلحة إلى بيت أم سليم.

وفيما هو في بعض طريقه تذكّر أن أمّ سليم قد سمعت من كلام هذا الداعية المكي مصعب بن عمير ، وآمنت بمحمد ، واتبعت دينه.

لكنه ما لبث أن قال فى نفسه: وما فى ذلك؟

ألم يكن زوجها الذي توفى عنها مستمسكًا بدين آبائه، نائيًا[١] بجانبه عن محمد، ودعوة محمد ﷺ.

بلغ أبو طلحة إلى منزل أمّ سليم، واستأذن عليها، فأذنت له، وكان ابنها أنس حاضرًا، فعرض نفسه عليها.

فقالت: إن مثلك يا أبا طلحة لا يرد، لكنى لن أتزوجك فأنت رجل كافر.

فظن أبو طلحة أن أم سليم ترفضه، وأنها فضلت عليه رجلاً آخر أكثر منه مالا، وأعز نفرًا[٢].

فقال لها: والله ما هذا الذي يمنعك منى يا أم سليم.

قالت: وما الذي يمنعني إذن؟

قال: الأصفر والأبيض... الذهب والفضة.

قالت الذهب والفضة؟!

قال: نعم.

قالت: بل إنى أشهدك يا أبا طلحة، وأشهد الله ورسوله أنك إن أسلمت رضيت بك زوجًا من غير ذهب وفضة، وجَعَلْتُ إسلامَكَ لي مهرًا.

فما أن سمع أبو طلحة كلام أم سليم حتى انصرف ذهنه إلى صنمه الذي صنعه من نفس الخشب، وخص به نفسه كما كان يفعل السادة من قومه.

لكن أم سليم أرادت أن تطرق الحديد وهو مازال حاميًا؛ فأتبعت تقول:

ألست تعلم يا أبا طلحة أن إلهك الذى تعبده من دون الله قد نبت من الأرض؟

فقال: بلى.

---

(١) نائيًا: معرضًا.

(٢) أعز نفرًا: أعز قبيلة.

قالت: أفلا تشعر بالخجل، وأنت تعبد جذع شجرة جعلت بعضه لك إلهًا، بينما جعل غيرك بعضه الآخر وقودًا له يصطلى[1] بناره.

أو يخبز عليه عجينه.... إنك إن أسلمت يا أبا طلحة رضيت بك زوجًا، ولا أريد منك صداقًا غير الإسلام.

قال: ومن لي بالإسلام؟

قالت أنا لك به.

قال: كيف؟.

قالت: تنطق بكلمة الحق فتشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم تمضى إلى بيتك فتحطم صنمك، ثم ترمى به.

ظهر البشر والفرح على وجه أبى طلحة، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، ثم تزوج من أم سليم.

فكان المسلمون يقولون: ما سمعنا بمهر قط كان أكرم من مهر أم سليم... قد جعلت صداقها الإسلام[2].

المستفاد من القصة:

١- أن المرأة الصالحة لا تنخدع بزخارف الدنيا من الذهب والفضة.

٢- أن المرأة الصالحة دليل إلى الجنة، تنقذ زوجها من الضلال إلى الهدى، ومن الظلمات إلى النور.

٣- أن أعظم مهر عرفه التاريخ الإسلامي هو مهر أم سليم، كان مهرها الإسلام.



---

(١) يصطلي بناره: يستدفئ بناره.

(٢) صور من حياة الصحابيات (٩٥: ٩٨) باختصار وتصرف يسير.

زواج جليبيب

عن أنس ﷺ قال: خطب النبي ﷺ على جليبيب ﷺ امرأة من الأنصار إلى أبيها.

قال: أستأمر أمها.

فقال ﷺ نعم إذا.

قال أنس: فانطلق الرجل إلى امرأته فذكر ذلك لها.

فقالت له: إذا ما وجد رسول الله ﷺ إلا جليبيبًا، لقد منعناها من فلانٍ وفلانٍ.

قال: والجارية تسمع بذلك.

قالت الجارية: أتريدون أن تردوا على رسول الله ﷺ أمره؟ إن كان رضيه لكم فأنكحوه.

قال: فإنما جلت عن أبويها.

وقالا: صدقت، فذهب أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: إن كنت رضيته فقد رضيناه.

قال رسول الله ﷺ فإني قد رضيته.

قال: فزوجها، ثم ذهب مع النبى ﷺ فى غزاة فقتل، ورؤى حوله ناس من المشركين قد قتلهم.

قال أنس: ولقد رأيتها، وإنها لمن أنفق بيت فى المسلمين [1].

وقال ابن الأثير: جُلَيْبيب بضم الجيم على وزن قُنَيْديل، وهو أنصاري له ذكر في حديث بريدة الأسلمي، في إنكاح رسول الله ﷺ ابنة رجل من الأنصار، وكان قصيرا دَميمًا، فكان الأنصاري أبو الجارية وامرأته كرها ذلك؛ فسمعت الجارية بما أراد رسول الله ﷺ فتلت قول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾[الأحزاب: ٣٦].

---

(١)أخرجه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٣٦).

وقالت: رضيت وسلمت لما رضى به رسول الله ﷺ، فدعا لها رسول الله ﷺ وقال: «اللَّهُمَّ اصْبُبْ عَلَيْهَا الخَيْرَ صَبًّا، وَلا تَجْعَلْ عَيْشَهَا كَدًّا»، فَكَانَتْ من أكثر الأنصار نفقة ومالا[1].

المستفاد من القصة:

١- أنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق ومعصية النبي ﷺ معصية لله ﷻ.

٢- الرضى والتسليم لما أمر به النبي ﷺ في اختيار الزوج، وهو أن يكون ذو دين والتزام.

٣- يرى أن سر بركة طاعة النبي ﷺ في غنى هذه المرأة بعد ذلك.

❐★❐★❐

(١) أسد الغابة (١/ ٣٤٨).

مشــروع زواج

أخرج أحمد والطبراني عن ربيعة الأسلمي قال: كنت أخدم النبيﷺ فقال لي: «يَا رَبِيعَةُ أَلا تَتَزَوَّجْ؟».

فقلت: ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيء.

فأعرض عنى ثم قال لى الثانية: «يَا رَبِيعَةُ أَلا تَتَزَوَّجْ؟».

فقلت: ما أريد أن أتزوج، ما عندي ما يقيم المرأة، وما أحب أن يشغلني عنك شيئًا، فأعرض عنى، ثم رجعت إلى نفسي فقلت: والله لَرَسُول الله ﷺ أعلم منى بما يصلحنى في الدنيا والآخرة، والله لئن قال لي ألا تتزوج؟ لأقولن: نعم يا رسول الله، مرني بما شئت.

فقال لي: «يَا رَبِيعَةُ أَلا تَتَزَوَّجْ؟».

فقلت: بلى، مرني بما شئت.

قال: «انْطَلِقْ إِلَى آل فُلان» حَيٌّ من الأنصار، كان فيهم تراخ[1] عن رسول الله ﷺ: «فَقُلْ لَهُمْ إِنَّ رَسُولَ اللهَ ﷺ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُزَوِّجُونِي فُلانَةَ» لامرأة منهم.

فذهبت إليهم فقلت لهم إن رسول الله ﷺ أرسلنى إليكم يأمركم أن تزوجونى.

فقالوا: مرحبًا برسول الله، وبرسول رسول الله ﷺ، والله لا يرجع رسول رسول الله ﷺ إلا بحاجته، فزوجوني وألطفونى[2]، وما سألوني البينة.

فرجعت إلى رسول الله ﷺ حزينًا فقلت: يا رسول الله أتيت قومًا كرامًا فزوجوني وألطفونى، وما سألوني البينة، وليس عندي صداق.

فقال رسول الله: «يَا بُرَيْدَةُ الأَسْلَمِيُّ، اجْمَعُوا لَهُ وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ».

---

(١) أي كانوا يأتونه قليلاً.

(٢) ألطفواني: أي عاملوني بلطف وعناية، وأكرموني بالهدايا.

قال: فجمعوا له وزن نواة من ذهب، فأخذت ما جمعوا لي فأتيت النبي ﷺ فقال: «اذهَبْ بهَذا إِلَيْهِمْ فَقُلْ لَهُمْ هَذا صَدَاقُهَا».

فأتيتهم فقلت: هذا صداقها، فقبلوه ورضوه، وقالوا كثير طيب.

قال: ثم رجعت إلى رسول الله ﷺ حزينًا.

فقال: «يَا رَبِيعَةُ مَالَكَ حَزِينٌ؟».

فقلت: يا رسول الله ما رأيت قومًا أكرم منهم، ورضوا بما أتيتهم وأحسنوا، وقالوا: كثير طيب، وليس عندي ما أولم به.

فقال: «يَا بُرَيْدَةُ، اجْمَعُوا لَهُ شَاةً».

قال: فجمعوا له كبشًا عظيما سمينًا.

فقال رسول الله ﷺ: «اذهَبْ إِلَى عَائِشَةَ فَقُلْ لَهَا فَلْتَبْعَثْ بالِمكْتَلِ الذِى فِيهِ الطَّعَامُ»

قال: فأتيتها فقلت لها ما أمرني به رسول الله ﷺ.

فقالت: هذا المكتل سبعة أصوع من شعير، لا والله إن أصبح لنا طعام غيره، خذه.....

قال: فأخذته فأتيت به النبى ﷺ، وأخبرته بما قالت عائشة.

قال ﷺ: «اذهَبْ بهَذا إِلَيْهِمْ فَقُلْ لَهُمْ: لِيُصْبِحْ ذلِكَ عِنْدَكُمْ خُبْزًا، وَهَذا طَبِيخًا».

فقالوا:أما الخبز فسنكفيكموه، وأما الكبش فاكفونا أنتم، فأخذنا الكبش أنا وأناس من أسلم، فذبحناه وسلخناه، وطبخناه؛ فأصبح عندنا خبز ولحم[1].

المستفاد من القصة:

١- السمع والطاعة لأمر الرسول ﷺ.

٢- التعاون على إعانة من أراد الزواج دون النظر أن يرد هذه الإعانة.

٣- مشروعية الوليمة في العرس.

---

(١) رواه الهيثمي، وقال حديث صحيح (٤/ ٢٥٧)، رواه أحمد.

الإقتداء بالرسول ﷺ

أخرج بن عساكر عن الشعبي أن عمر بن حريث ﷺ خطب إلي عدى بن حاتم ﷺ...

فقال: لا أزوجكها إلا على حكمي.

قال: ما هو؟

قال: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [محمد: ٤].

حكمت عليك بمهر عائشة ﷺ ثمانين وأربعمائة درهم.



الإنكار على من تشبه بالكفرة في النكـــاح

أخرج أبو الشيخ في كتابه عن عروة بن رويم أن عبد الله بن قرط الثمالي ﷺ كان يعس بحمص ذات ليلة (أي يسير ليلاً ليتفقد أحوال الرعية)، وكان عاملا لعمر ﷺ؛ فمرت به عروس وهم يوقدون النار بين يديها، فضربهم بدرته حتى تفرقوا عن عروسهم، فلما أصبح قعد على منبره فحمد الله، وأثنى عليه؛ فقال: أن أبا جندلة نكح أمامة فصنع لها حثيات من طعام، فرحم الله أبا جندلة، وصلى على أمامة، ولعن الله عروسكم البارحة! أوقدوا النيران، ويشبهوا بالكفرة، والله مطفئ نورهم[1].

المستفاد من القصة:

١- وجوب إنكار المنكر عند رؤيته مع تغييره إذا كان هناك استطاعة.

٢- بيان أن ما يحدث من حفلات الأفراح اليوم فيه تشبه بالكفار، وهذا الأمر حرام فلا يجوز.



(١) فتح الباري(١٤/ ٤٣٥)

زواج الشهداء

روت كتب التاريخ عن معركة اليرموك استشهاد أبطال المسلمين: منهم سهيل بن عمرو، الحارث بن هشام، عكرمة بن أبى جهل رضى الله عنهم جميعًا.

وقد حارب النساء خلف الرجال فى هذه المعركة، وكان من بين النساء أم حكيم المخزومية.

وكانت أم حكيم زوجة لعكرمة بن أبى جهل ﷺ، وقد علمت بمقتل زوجها وأبيها الحارث بن هشام؛ فتأثرت لذلك كثيرًا، ولكنها هدأت نفسًا، وقرت عينًا حين تذكرت أنهما شهيدان، وأنهما قتلا في سبيل الدعوة للإسلام، وأن الجنة في انتظارهما.

أكملت أم حكيم عدتها، فتقدم لخطبتها اثنان من كبار القواد: يزيد بن أبى سفيان، وخالد بن سعيد، في حين كانت تستعد للعودة إلى بيتها في مكة أو المدينة.

وافقت أم حكيم على الزواج من خالد بن سعيد، ولكن الحرب كانت مستمرة بين المسلمين والروم، والمفروض أن يؤجل الزواج حتى تنتهى الحرب، فالوقت غير مناسب على الإطلاق؛ فقد رأت أم حكيم أعدادًا من الروم متجهة نحو مرج الصفر؛ فقالت له: لو أخرت الدخول حتى يفض الله هذه الجموع.

لكن خالدًا أصر على موقفه، وقال: إن نفسي تحدثني أنى سأصاب في جموعهم وسأقتل.

فوافقت أم حكيم مرغمة، وقالت له: الرأى رأيك.

أقيمت الأعراس، ونصبت الخيام للولائم في مرج الصفر عند قنطرة على النهر سميت بقنطرة أم حكيم فيما بعد، وتزوج خالد من أم حكيم في اليوم التالي، أولم خالد بن سعيد الولائم، ودعا أصحابه إلى طعام العرس، والجميع في فرح وسرور.

وما كادوا ينتهون من طعامهم حتى رأوا الروم وقد صفوا جنودهم صفوفًا صفوفًا، منتهزين فرصة انشغال المسلمين بعرس قائدهم، وليس لديهم أى استعداد لقتال في الوقت الحاضر.

إن خطة الروم دائمًا تتلخص في أنهم ينزلون من الشمال إلى الجنوب حتى يلتفوا حول جيش المسلمين يطوقون عليهم الحصار.

وهذا ما فعلوه هنا أيضا: اندفع رجل من صفوف الروم معلم يقول متحديًا: من يبارز؟

فبرز أبو جندل بن سهيل بن عمرو فنهاه أبو عبيدة ﷺ لأن أباه قد قتل من فترة قريبة في اليرموك. برز خالد بن سعيد للروم فقاتل قتال المستميت، قاتل المسلمون قتالا شديدًا على شاطئ النهر، وطحنت بها الطاحونة.

قاتل خالد بن سعيد الروم، لكنهم تكاثروا عليه، وقاتلوه فقتلوه كما قتلوا ابنه من قبل، وفى عنقه سيفه المشهور (الصمصامة).

كانت أم حكيم في خيمتها تسمع ما يجرى في المعركة وتراقب.

فما علمت بمقتل زوجها حتى اندفعت هي الأخرى تقاتل وعليها ثياب العرس، وآثار زينتها لا تزال عليها، فشدت عليها ثيابها، واقتلعت عمودًا من خيمة عرسها، فضربته بالعمود وأردته قتيلاً، ثم مر الرومي الثاني فقتلته ثم الثالث فالرابع، حتى صار عدد القتلى سبعة، وما أن ابتعد الروم قليلا حتى خرجت تقاتل مع الرجال؛ فأصيبت برمية كانت سبب مصرعها.

فخرت شهيدة ﷺ مضرجة بدمها.

انهزم الروم وأصاب المسلمون معسكرهم، فقتلوا منهم خلقًا كثيرًا، فتبدلت فلولهم شراذم: منهم من هرب إلى دمشق، ومنهم من رجع إلى حمص، ومنهم من لحق بجيش هرقل.

أسفرت معركة مرج الصفر عن قتل عدد من المسلمين والروم، واستشهاد خالد بن سعيد ﷺ وزوجته أم حكيم ﷺ صبيحة عرسهما، دفنت جثث الشهداء في مرج الصفر، ودفنت أم حكيم قرب القنطرة التي كانت تسمى بقنطرة أم حكيم.

فياله من عرس للزوجين بدأ من الأرض، وانتهى على أبواب الجنة، وياله من امرأة مسلمة قوية تشد من أزر زوجها قبل المعركة، وحين تعلم باستشهاده لا تهرب، ولا تحزن، بل تقف وتحمل عمود خيمة عرسها، وتضرب به رأس كل من يمر بها، فيقع على الأرض قتيلاً[1].

حقًا إنه عرس الشهداء

(١) الإصابة (٤/ ٢٤٣).

زواج المتحابين

عن ابن عباس ﷺ أن رجلاً قال: يا رسول الله فى حجري يتيمة قد خطبها رجل موسر (صاحب أموال) ورجل معدم (ليس عنده مال)، فنحن نحب الموسر، وهى تحب المعدم[١].

فقال رسول الله ﷺ: «لَمْ يُرَ لِلْمُتَحَابَيْنِ مِثْلَ النِّكَاحِ»[٢].

المستفاد من القصة:

أنه لا بد من استئذان الفتاة في الزوج، وتزويجها من ترضاه، لا من يرضاه الأهل.

❑★❑★❑

---

(١) ليس المقصود بالحب هنا الحب الزائف الذي تصوره لنا الأفلام والمسلسلات، ولكن المقصود هنا الإعجاب بصفاته الحميدة.

(٢) صحيح: السلسلة الصحيحة (٦٢٤)

حرص الأباء على آخرة بناتهم

خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء ﷺ ابنته الدرداء، فرده، فقال رجل من جلساء يزيد أصلحك الله، تأذن لي أن أتزوجها؟

قال:أغرب، ويلك.

قال: فأذن لي، أصلحك الله.

قال: نعم.

قال: فخطبها، فأنكحها أبو الدرداء الرجل، فسار ذلك في الناس أن خطب يزيد بن معاوية إلى أبي الدرداء فرده، وخطب إليه رجل من ضعفاء المسلمين فأنكحه.

قال أبو الدرداء:إني نظرت للدرداء، ما ظنكم بالدرداء إذا قامت على رأسها الخصيان[1]، ونظرت في بيوت يلتمع فيها بصرها، أين دينها منها يومئذ؟![2]



---

(١) المراد بهم العبيد، فقد كان السيد يخصي عبده (يقطع منه أداة التناسل) حتى لا يغريه الشيطان بالزنا مع امرأة سيده أو جواريه.

(٢) حياة الصحابة (٢/ ٤٩٥).

اختيار الزوج الصالح

قال أبو وداعة: كنت ألازم مسجد الرسول ﷺ طلبا للعلم، وكنت أداوم على حلقة سعيد بن المسيب، وأزاحم الناس عليها بالمناكب؛ فتغيبت عن حلقة الشيخ أيامًا، فتفقدني، وظن أنى مريضٌ، أو عرض لي عارض...

فسأل عنى من حوله، فلم يجد عند أحد منهم خبرًا.

فلما عدت إليه بعد أيام حيانى، ورحب بي، وقال: أين كنت يا أبا وداعة؟

فقلت: توفيت زوجتى، فاشتغلت بأمرها.

فقال: هلا أخبرتنا يا أبا وداعة فنواسيك[١]، ونشهد جنازتها معك، ونعينك على ما أنت فيه.

فقلت: جزاك الله خيرًا... وهممت أن أقوم... فاستبقاني حتى انصرف جميع من كان في المجلس، ثم قال لي: أما فكرت في استحداث زوجة[٢] لك يا أبا وداعة؟

فقلت: يرحمك الله... ومن يزوجني ابنته، وأنا شاب نشأ يتيمًا، وعاش فقيرًا... فأنا لا أملك غير درهمين، أو ثلاثة دراهم.

فقال: أنا أزوجك ابنتى.

فأنعقد لسانى[٢] وقلت: أنت؟! أتزوجني ابنتك بعد أن عرفت من أمري ما عرفت؟

فقال: نعم، فنحن إذا جاءنا من نرضى دينه وخلقه زوجناه، وأنت عندنا مرضى الدين والخلق.

ثم التفت إلى مكان قريبٍ منا، وناداهم... فلما أقبلوا عليه، وصاروا عنده، حمد الله ﷻ وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه، وعقد لي على ابنته....

---

(١) نواسيك: نعاونك.

(٢) انعقد لساني: وقف لساني، وعجزت عن الإفصاح.

وجعل مهرها درهمين اثنين... فقمت وأنا لا أدرى ما أقول من الدهشة والفرح!!

ثم قصدت بيتي، وكنت يومئذ صائمًا، فنسيت صومي، وجعلت أقول: ويحك يا أبا وداعة... ما الذي صنعت بنفسك؟!......ممن تستدين؟!.....وممن تطلب المال؟!....

وظللت على حالي هذه حتى أُذِّن للمغرب؛ فأديت المكتوبة[1]، وجلست إلى فطوري، وكان خبزًا وزيتًا. فما أن تناولت منه لقمة أو لقمتين حتى سمعت الباب يقرع؛ فقلت: من الطارق؟.....

فقال: سعيد..... فوالله لقد مر بخاطري كل إنسان اسمه سعيد أعرفه إلا سعيد بن المسيب؛ ذلك لأنه لم يُر منذ أربعين سنة إلا بين بيته والمسجد.

ففتحت الباب، فإذا بي أمام سعيد بن المسيب... فظننت أنه بدا له[2] في أمر زواجي من ابنته شيء وقلت له: أبا محمد؟ هلا أرسلت إلى فآتيك.

فقال: بل أنت أحق بأن أتى إليك اليوم.

فقلت: تفضل على.

فقال كلا وإنما جئت لأمر...

فقلت: وما هو يرحمك الله؟!

فقال: إن ابنتى أصبحت زوجة لك بشرع الله منذ الغداة[3]، وأنا أعلم أنه ليس معك أحد يؤنس وحشتك، فكرهت أن تبيت أنت فى مكان، وزوجتك فى مكان آخر، فجئتك بها.

فقلت: ويحي.... جئتني بها؟

فقال: نعم.

---

(١) المكتوبة: المفروضة.

(٢) بدا له: ظهر له ما غير رأيه.

(٣) الغداة: الضحى.

فنظرت، فإذا هى قائمة بطولها.

فالتفت إليها وقال: ادخلي بيت زوجك يا ابنتي على اسم الله وبركته....

فلما أرادت أن تخطوا تعثرت ملاءتها [١] من الحياء، حتى كادت أن تسقط على الأرض.

أما أنا فقد وقفت أمامها مشدوهًا [٢] لا أدرى ما أقول، ثم إني بادرت فسبقتها إلى القصعة التي فيها الخبز والزيت، فنحيتها من ضوء السراج حتى لا تراها، ثم صعدت إلى السطح، وناديت على الجيران، فأقبلوا على، وقالوا: ما شأنك؟!

فقلت: عقد لي سعيد بن المسيب على ابنته اليوم في المسجد... وقد جاءني بها الآن على غفلة.... فتعالوا آنسوها [٣] حتى أدعو أمي؛ فهي بعيدة الدار؛ فقالت عجوز منهن: ويحك، أتدرى ما تقول؟! أزوجك سعيد بن المسيب ابنته.... وحملها لك إلى البيت بنفسه؟! وهو الذي ضن بها على الوليد بن عبد الملك!!

فقلت: نعم، وها هي ذي عندي في بيتي، فهلموا [٤] إليها، فتوجه الجيران إلي البيت، وهم لا يكادون يصدقونني، ونظروها، ورحبوا بها، وآنسوا وحشتها.... وما هو إلا قليل حتى جاءت أمي؛ فلما رأتها التفتت إلى وقالت: وجهي من وجهك حرام [٥] إن لم تتركها لي حتى أصلح شأنها... ثم أزفها إليك كما تزف كرائم النساء.

فقلت: أنت وما تريدين.

فضمتها إليها ثلاثة أيام [٦]، ثم زفتها إلى.

---

(١) بملاءتها: بثوبها، وهذا من حيائها - رحمها الله-.

(٢) مشدوهًا: ذاهلاً حائرًا.

(٣) آنسوها: تحدثوا معها وازيلوا وحشتها.

(٤) هلموا: بادروا.

(٥) وجهي من وجهك حرام: أخاصمك ولا أنظر إليك.

(٦) ضمتها إليها: اصطحبتها.

فإذا هي من أبهى نساء المدينة جمالاً... وأحفظ الناس لكتاب الله ﷻ.... وأرواهم لحديث رسول الله ﷺ... وأعرف الناس بحقوق الزوج.

فمكثت معها أيامًا لا يزورني أبوها، أو أحد من أهلها، ثم إني أتيت حلقة الشيخ في المسجد، فسلمت عليه، فرد على السلام، ولم يكلمني؛ فلما انفض المجلس، ولم يبق غيري قال: ما حال زوجتك يا أبا وداعة؟

فقلت: هي على ما يحب الصديق، ويكره العدو....

فقال: الحمد لله.

فلما عدت إلى بيتي، وجدته قد وجه إلينا مبلغًا وفيرًا من المال لنستعين به على حياتنا.

لقد سئل سعيد بن المسيب لماذا رفض خطبة ابن أمير المؤمنين، وزوج ابنته من رجلا من عامة المسلمين؟

فقال: إن ابنتى أمانة فى عنقى، وقد تحريت[١] فيما صنعته لها صلاح أمرها.

فقيل له: وكيف؟

فقال: وما ظنكم بها إذا انتقلت إلى قصور بنى «أمية» وتقلبت بين رياشها[٢] وأثاثها[٣]. وقام الخدم والحشم بين يديها، وعن يمينها، وعن شمالها... ثم وجدت نفسها بعد ذلك زوجة للخليفة؟

أين يصبح دينها يومئذ؟![٤].

وروي أنه لما دخل بها زوجها، فلما أن أصبح أخذ رداءه يريد أن يخرج، فقالت له زوجته: إلى أين تريد؟، فقال: إلى مجلس سعيد أتعلم العلم، فقالت له: أجلس أعلمك علم سعيد[٦].

---

(١) تحريت: توخيت وبحثت.

(٢) رياشها: ما كان فاخرًا من اللباس ونحوه.

(٣) الأثاث: متاع المنزل.

(٤) صور من حياة التابعين (٢٠١: ٢٠٧) باختصار.

(٦) المدخل للإمام ابن الحاج (١/ ٢١٥).

زواج عروة بن الزبير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

عن أبي الأسود عن عروة قال: خطبت إلى ابن عمر - يقصد عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما - بنته سودة، ونحن في الطواف؛ فلم يجبني بشيء، فلما دخلت المدينة بعده مضيت إليه.

فقال: أكنت ذكرت سودة؟

قلت: نعم.

قال: إنك ذكرتها ونحن في الطواف نتخايل الله بين أعيننا، أفلك فيها حاجة؟

قلت: أحرص ما كنت.

قال: يا غلام، ادع عبد الله بن عبد الله، ونافعًا مولى عبد الله.

قلت له: وبعض آل الزبير.

قال: لا.

قلت: فمولى خبيب؟

قال: ذاك أبعد.

ثم قال لهما: هذا عروة بن أبي عبد الله، وقد علمتما حاله، وقد خطب إليَّ سودة، وقد زوجته إياها بما جعل الله للمسلمات على المسلمين: من إمساك بمعروف، أو تسريح بإحسان، وعلى أن يستحلها بما يستحل به مثلها، أَقَبِلْتَ يا عروة؟

قلت: نعم.

قال: بارك الله لك[١].

---

(١) سير أعلام النبلاء(٤/ ٤٣٢).

امرأة تعلم زوجها آداب النكاح

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ:

تزوجت امرأة من بني تميم، فلما كانت ليلة البناء دخلتُ عليها فإذا هي جالسة على باب خدرها، فأهويت إليها بيدي فقالت: مهلا، على رسلك.

فحمدت الله وأثنيت عليه، ثم قالت:

إن الله عَزَّ وَجَلَّ يضع العلم حيث يشاء، وإنه بلغني أن الرجل إذا دخل بيته يؤمر أن يصلي ركعتين، وتصلي المرأة خلفه.

فإذا فرغ قال:

«اللهم بارك لي في أهلي، وبارك لأهلي فيَّ، اللهم ارزقني منهن، وارزقهم مني، اللهم ارزقني ألفتهم، ومودتهم، وارزقهم ألفتي ومودتي، وحبب بعضنا إلى بعض».

قال: فقمت ففعلت ذلك، فلما فرغت أهويت إليها، فقال: مهلا، على رسلك، إن الرجل يؤمر إذا أراد غشيان أهله، أن يدعو قبل ذلك، فيقول:

«اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، وَلا تَجْعَلْ لَهُ فِينَا نَصِيبًا».

قال: ففعلتُ ذلك، فلم أزل أعرف بعد ذلك الألفة، واللطف، والخير[1].

❐★❐★❐

(١) أدب النساء (٢/ ١٥٩) للعلامة عبد الملك بن حبيب رَحِمَهُ اللَّهُ.

أمر بالزواج

أراد عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن لا يتزوج؛ فأمرته أخته أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها بالزواج، مبينة ما يرجي من وراء الزواج: من دعوة الأولاد لأبيهم إذا عاشوا بعده.

فقد روي الإمام الشافعي عن عمرو دينار أن ابن عمر رضي الله عنهما أراد أن لا ينكح، فقالت له حفصة: تزوج، فإن وُلِدَ لكَ ولد فعاش من بعدك دعا لك[(١)].

المستفاد من القصة:

هو دعوة أم المؤمنين رضي الله عنها أخوها لما نصح به النبي ﷺ حيث قال: «إِذا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إلا مِنْ ثلاث: إِلا مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ»[(٢)].



---

(١) مسند الشافعي (٢/ ١٣)، حديث (٣١).

(٢) صحيح مسلم (١٦٣١).

زواج الأبــرار

صلة بن أشيم تلميذ من تلاميذ صحابة النبيﷺ : عابدٌ بالليل، فارسٌ بالنهار، مجتهد في العبادة، سيف من سيوف الفتوحات الإسلامية، لم يرغب عن سنة النبيﷺ، وأراد أن يتزوج؛ فبحث عن عروس تناسبه، فإذا به يجد ابنة عمه «معاذة» تلميذة أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها. تقية نقية... عابدة زاهدة...

وجاء يوم الزفاف، فقام ابن أخ له بشأنه؛ فمضى به إلى الحمام، ثم أدخله عليها فى بيت مطيّبٍ..... فلما صارا معًا، قام يصلى الركعتين المسنونتين[١]، فقامت تصلى بصلاته، وتقتدي به، ثم اجتذبهما سحر الصلاة، فمضيا يصليان معًا حتى برق الفجر.

فلما كانت الغداة[٢] جاءه ابن أخيه، وقال: يا عم لقد أهديت إليك ابنة عمك، فقمت تصلى الليل كله وتركتها.

فقال: يا ابن أخي.... إنك أدخلتني أمس بيتا أذكرتني النار، ثم أدخلتني آخر أذكرتني به الجنة.

فقال الفتى: وما ذاك يا عم؟

فقال: لقد أدخلتني الحمام، فأذكرني حره حر جهنم، ثم أدخلتني بيت العرس، فأذكرني طيبَهُ طيب الجنة.

وفى سنة ست وسبعين للهجرة خرج صلة بن أشيم في غزاة له مع جيوش المسلمين المتوجهة إلى بلاد ما وراء النهر، وكان بصحبته ابن له، فلما التقى الجمعان، وحمي وطيس[٣] المعركة، قال صلة لابنه: أي بنى، تقدم وجاهد أعداء الله حتى أحتسبك[٤] عند الذي لا تضيع عنده الودائع.

---

(١) الركعتين المسنونتين: الركعتين عند الدخول بالزوجة ليلة الزفاف سنة عن النبيﷺ.

(٢) الغداة: أول النهار.

(٣) حمي الوطيس: اشتدت الحرب.

(٤) احتسبك: أضحي بك مرضاة لله.

فانطلق الفتى إلى قتال العدو كما ينطلق السهم عن القوس، ومازال يقاتل حتى خر صريعًا شهيدًا؛ فما كان من أبيه إلا أن مضى على إثره، وظل يجاهد حتى ثوى [١] شهيدًا إلى جنبه.

فلما بلغ نعيهما إلى البصرة اتجهت النساء إلى معاذة العدوية ليواسينها [٢] فقالت لهن: إن كنتن جئتن لتهنئتي فمرحبًا بكن، أما إن كنتن قد جئتن لغير ذلك فارجعن، وجزيتن خيرًا.

نضر الله هذه الوجوه النبيلة الكريمة.... وجزاها عن الإسلام والمسلمين خيرًا، فما عرف تاريخ الإنسانية أتقى منها، ولا أنقى [٣].

❑★❑★❑

(١) ثوى: استقر.

(٢) يواسينها: يعزينها ويصبرنها.

(٣) صور من حياة التابعين (٣٢٢: ٣٢٥) باختصار.

الزوجـة التقيـة

بينما كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يعس بالمدينة إذ أعياه التعب؛ فاتكأ على جانب جدار فى جوف الليل، فإذا امرأة تقول لابنتها: أبنتاه قومى إلى ذلك اللبن فامذقيه بالماء؛ فقالت لها: يا أمتاه، أوعلمت بما كان من عزمة أمير المؤمنين؟ فقالت لها: يا بنتاه قومى إلى اللبن فامذقيه بالماء، فإنك بموضع لا يراك عمر، ولا منادى.

فقالت الصبية لأمها: يا أماه، والله ما كنت لأطيعه فى الملأ، وأعصيه فى الخلا.

وعمر يسمع ذلك، فقال: يا أسلم علم الباب، واعرف الموضع، ثم مضى فى عسسه.

فلما أصبح قال: يا أسلم امض إلى ذلك الموضع فانظر من القائلة، ومن المقول لها، وهل لهم من بعل؟

فأتيت الموضع فنظرت، فإذا الجارية أَيِّمٌ لا بعل لها، وإذا تلك أمها، وإذا ليس لها رجل.

فأتيت عمر بن الخطاب فأخبرته، فدعا عمر ولده فجمعهم.

فقال: هل فيكم من يحتاج إلى امرأة أزوجه؟ ولو كان بأبيكم حركة إلى النساء ما سبقه أحد منكم إلى هذه الجارية.

فقال عبد الله: لى زوجة، وقال عبد الرحمن: لى زوجة، وقال عاصم: يا أبتاه لا زوجة لى فزوجنى.

فبعث إلى الجارية فزوجها من عاصم؛ فولدت لعاصم بنتًا، وولدت البنت عمر بن عبد العزيز رضى الله عنهم أجمعين[1].

المستفاد من القصة:

١ - اهتمام الآباء باختيار زوجات لأبنائهم.

٢ - أن من أهم صفات المرأة الصالحة تقوى الله عز وجل في السر والعلن.

---

(١) مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (٨٩: ٩٠).

ليلة العرس
(زواج شريح القاضي)

يروى أن شريحًا القاضى قابل الشعبي يومًا فسأله الشعبي عن حاله في بيته فقال له: من عشرين عامًا لم أر ما يغضبني من أهلي.

قال له: وكيف ذلك؟

قال شريح: من أول ليلة دخلت على امرأتي، رأيت فيها حسنًا فاتنًا، وجمالاً نادرًا قلت فى نفسى فلأطهر وأصلى ركعتين شكرًا لله؛ فلما سلمت وجدت زوجتى تصلى بصلاتي، وتسلم بسلامي، فلما خلا البيت من الأصحاب والأصدقاء قمت إليها؛ فمددت يدي نحوها، فقالت: على رسلك يا أبا أمية، كما أنت.

ثم قالت: الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأصلى على محمد وآله، إني امرأة غريبة، لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحبه فآتيه، وما تكره فأتركه، وقالت: إنه كان في قومك من تتزوجه من نسائكم، وفى قومي الرجال من هو كفءٌ لي، ولكن إذا قضى الله أمرًا كان مفعولاً، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به: ﴿فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ﴾

[البقرة: ٢٢٩]

أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك....

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة فى ذلك الموضع فقلت:

الحمد لله، أحمده وأصلى على النبي وآله وأسلم، وبعد.....

فإنك قلت كلامًا إن ثبت عليه يكن ذلك حظك، وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وكذا، وأكره كذا وكذا، وما رأيتِ من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها!.

قالت: كيف محبتك لزيارة أهلى؟

قلت: أحب ألا يملني أصهاري.

قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك فآذن له، ومن تكره فأكره؟

قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

قال شريح: فنمت معها بأنعم ليلة، وعشت معها حولاً[1] لا أرى إلا ما أحب، فلما كان رأس الحول جئت من مجلس القضاء فإذا بفلانة في البيت.

قلت من هي...؟!

قالوا: ختنك (أي أم زوجتك)

فألتفتت إليَّ وسألتني كيف رأيت زوجتك؟

قلت: خير زوجة..

قالت: يا أبا أمية إن المرأة لا تكون أسوأ حالاً منها فى حالتين إذا ولدت غلامًا، أو حظيت عند زوجها، فوالله ما حاز الرجال في بيوتهم شرًا من المرأة المدللة؛ فأدب ما شئت أن تؤدب، وهذب ما شئت أن تهذب.

فمكثت معها عشرين عامًا لم أعقب عليها فى شيء إلا مرة كنت لها ظالمًا[2].

المستفاد من القصة:

أن المرأة الصالحة هي التي تبحث عن سعادة زوجها، تبحث عن ما يرضيه فتفعله، وتعرف ما يغضبه فتجتنبه.

❐★❐★❐

---

(١) حولاً: عامًا.

(٢) أحكام النساء لابن الجوزي (١٣٤: ١٣٥)

زواج الصالحين

تزوج رياح القيسي رَحِمَهُ اللَّهُ امرأة فبنى بها؛ فلما أصبح قامت إلى عجينها.

فقال: لو نظرت إلى امرأة تكفيك هذا.

فقالت: إنما تزوجت رياحًا القيسي، ولم أرني تزوجت جبارًا عنيدًا.

فلما كان الليل نام ليختبرها؛ فقامت ربع الليل ثم نادته: قم يا رياح.

فقال: أقوم.

فقامت الربع الآخر، ثم نادته فقالت: قم يا رياح.

فقال: أقوم؛ فلم يقم.

فقالت: مضى الليل، وعسكر المحسنون، وأنت نائم، ليت شعري: من غرني بك يا رياح.

قال: وقامت ربع الليل الباقي.

عن سيار قال: حدثني رياح قال: ذكرت لي امرأة، فتزوجتها. فكانت إذا صلت العشاء الآخرة تطيبت، ولبست ثيابها، ثم تأتيني فتقول: ألك حاجة، فإن قلت: نعم، كانت معي، وإن قلت: لا، قامت فنزعت ثيابها، ثم صفت بين قدميها حتى تصبح.

قال رياح: فأفحمتني والله[1].

❑★❑★❑

(١) صفة الصفوة (٢/ ٧٢١).

الحذر من زواج الدنيا

قال مالك بن دينار: ينطلق أحدكم فيتزوج ديباجة الخز (أجمل الناس)، أو ينطلق إلى جارية قد سمنها أبوها كأنها زبدة فيتزوجها؛ فتأخذ بقلبه.

فيقول لها: أى شيء تريدين؟

فتقول: خمار خز.

فيقول لها: وأي شيء تريدين؟

فتقول: كذا وكذا.

قال مالك: فتمرط والله دين ذلك القارئ، ويدع أن يتزوجها يتيمة ضعيفة؛ فيكسوها فيؤجر، ويدهنها فيؤجر[(١)].

❏★❏★❏

(١) صفة الصفوة (٢/ ٦٣٤).

الزوجة الصالحة أعظم النعم

أراد الإمام زين العابدين بن الحسين بن على ﷺ أن يعقد على امرأة فقال لها فى مجلس العقد: إنى رجل سيئ الخلق، دقيق الملاحظة، شديد المؤاخذة، سريع الغضب، بطيء الفيئة، فإن كان عندك شيء من الصبر على المكروه فتقدمي، وإلا فلا أغرر بك!

فنظرت إليه غير مكترثة، وقالت له:

أسوأ منك خلقًا من تحوجك إلى سوء الخلق.

فقال لها: أنت زوجتى ورب الكعبة.. فمكث معها عشر سنين ما لامها، ثم وقع بينهما شيء؛ فقال لها: أمرك بيدك، ثم ندم على ما بدر منه، فقالت له: أما والله، لقد كان أمرى بيدك عشر سنين فأحسنت حفظه، فلن أضيعه أنا ساعة من نهار، وقد رددته إليك..

فقال لها: لا جَرَمَ أنك من أعظم نعم الله على![(١)].

❑★❑★❑

---

(١) حكايات المسلمين العطرة (٢٠٦)

امرأة من الجنة

دخل أحد السلف أحد المزارع، وكان جائعًا متعبًا؛ فشدته نفسه لأن يأكل، وبدأت المعدة تقرقر؛ فأطلق عينيه في الأشجار فرأى تفاحه فمد يده إليها، ثم أكل نصفها، ثم شرب من ماء النهر بجانب المزرعة، ولكن انتبه بعد ذلك من غفلته بسبب الجوع، وقال لنفسه: ويحك؛ كيف تأكل من ثمار غيرك دون استئذان؟! وأقسم ألا يرحل حتى يدرك صاحب المزرعة، يطلب منه أن يحلل له ما أكل من هذه التفاحة؛ فبحث حتى وجد داره؛ فطرق عليه الباب؛ فلما خرج صاحب المزرعة استفسر عما يريد.

قال صاحبنا: دخلت بستانك الذى بجوار النهر، وأخذت هذه التفاحة، وأكلت نصفها، ثم تذكرت أنها ليست لى، وأريد منك أن تعذرني فى أكلها، وأن تسامحني على هذا الخطأ .

فقال الرجل: لا أسامحك، ولا أسمح لك أبدًا إلا بشرط واحد.

فقال: وما هذا الشرط؟

قال صاحب المزرعة: أن تتزوج ابنتي.

قال: أتزوجها؟!

قال الرجل: ولكنِ انتبه، إن ابنتي عمياء لا تبصر، وخرساء لا تتكلم، وصماء لا تسمع.

حينئذ أخذ يفكر في هذه المرأة، ماذا يفعل؟! ثم علم أن الابتلاء بهذه المرأة وشأنها وتربيتها خير من أن يأكل الصديد في جهنم جزاء ما أكل من التفاحة، وما الأيام، وما الدنيا إلا أيامًا معدودات، فقبل الزواج على مضض، وهو يحتسب الأجر والثواب عند الله رب العالمين.

وجاء يوم الزفاف، وقد غلب الهم على صاحبنا: كيف أدخل على امرأة لا تتكلم، ولا تبصر، ولا تسمع؟

فاضطرب حاله، وتمنى أن لو تبتلعه الأرض قبل هذه الحادثة، ولكنه توكل على الله وقال: «لا حول ولا قوة إلا بالله، إنا لله وإنا إليه راجعون»، ودخل عليها يوم الزفاف فإذا بهذه المرأة تقوم إليه وتقول له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته!!!

فلما نظر إليها تذكر ما يتخيله عن الحور العين في الجنة، قال بعد صمت: ما هذا؟! إنها تتكلم، وتسمع، وتبصر !!، فأخبرها بما قال عنها أبوها.

قالت: «صدق أبي ولم يكذب».

قال: «اصدقيني الخبر».

قالت: «أبي قال عني: إنني خرساء لأنني لم أتكلم بكلمة حرام، ولا تكلمت مع رجل لا يحل لي، وأنني صماء لأنني ما جلست في مجلس فيه غيبة ونميمة ولغو، وإنني عمياء لأنني لم أنظر إلى رجل لا يحل لي»[1].

و كان ثمرة هذا الزواج الإمام أبو حنيفة النعمان!

المستفاد من القصة:

أنه ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

- أن من صفات المرأة الصالحة:
- ألا تتكلم بكلام ليس فيه حاجة.
- ألا تستمع إلى مجالس السوء.
- ألا تنظر إلى حرام.

❑★❑★❑

---

(١) قصص إيمانية مع المتقين (٣٤: ٣٦).

زواج مبارك

يحكى عن مبارك أبى عبد الله: أنه كان يعمل في بستان لمولاه، وأقام فيه زمانًا.

ثم إن مولاه صاحب البستان – وكان أحد تجار همذان – جاءه يومًا وقال له:

يا مبارك، أريد رمانا حلوًا، فمضى مبارك إلى بعض الشجر، وأحضر منها رمانًا، فكسره مولاه، فوجده حامضًا، فحرد[1] عليه، وقال: أطلب الحلو فتحضر لي الحامض؟ هات حلوًا.

فمضى وقطع من شجرة أخرى، فلما كسره سيده وجده أيضًا حامضًا، فاشتد حرده عليْه؛ هات حلوًا، فمضى وقطع من شجرة أخرى، أتى به سيده؛ فذاقه فوجده أيضًا حامضًا، فقال له بعد ذلك: ما تعرف الحلو من الحامض؟

فقال: لا.

فقال: وكيف ذلك؟

فقال: لأني ما أكلت منه شيئا حتى أعرفه.

فقال: ولِم لَم تأكل؟

قال: لأنك ما أذنت لي بالأكل منه.

فعجب صاحب البستان من ذلك، ولما تبين له صدق عبده، عظم في عينيه وزاد قدره عنده، وكانت له بنت خُطِبَتْ كثيرًا.

فقال له: يا مبارك من ترى تزوج البنت؟

فقال: أهل الجاهلية كانوا يزوجون للحسب، واليهود للمال، والنصارى للجمال، وهذه الأمة للدين.

فأعجبه عقله، وذهب فأخبر به زوجته، وقال لها: ما أرى لهذه البنت زوجًا غير مبارك.

---

(١) حرده: غضبه.

فتزوجها، وأعطاهما أبوها مالا كثيرًا، فجاءت بعبد الله بن المبارك، العالم، المحدث، الزاهد، المجاهد الذي كان أكرم ثمرة زواج على أبويه في آفاق زمانه[١].

المستفاد من القصة:

١- أن المال ليس له أهمية في الزواج.

٢- أن أمة الإسلام تتصف بأفضل صفة للزواج: وهى الدين؛ إذ إن الدين هو الأبقى والأصلح للإنسان مهما تغيرت أحواله.

❐★❐★❐

---

(١) صفحات مشرقة من حياة السابقين(٢٠٦: ٢٠٨).

ثمــرة الأمانــة

قال القاضي أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد البزار المتوفى سنة (٣٥٠ هجرية) ببغداد.

كنت مجاورًا بمكة حرسها الله تعالى، فأصابني يومًا من الأيام جوعًا شديدًا لم أجد شيئا أدفع به عني الجوع، فوجدت كيسًا من أبريم مشدودًا بشرابة من أبريم أيضًا، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فحللته فوجدت فيه عقدًا من اللؤلؤ لم أر مثله؛ فخرجت فإذا بشيخ ينادي عليه، ومعه خرقه فيها خمس مئة دينار وهو يقول: هذا لمن يرد علينا الكيس الذي فيه اللؤلؤ؛ فقلت أنا محتاج، وأنا جائع، فأخذ هذا الذهب فأنتفع به، وأرد عليه الكيس.

فقلت له تعالى إلى، فأخذته وجئت به إلى بيتي، فأعطاني علامة الكيس، وعلامة الشرابة، وعلامة اللؤلؤ وعدده، والخيط الذي هو مشدود به فأخرجته، ودفعته إليه فسلم إلي خمس مائة دينار، فما أخذتها وقلت يجب علي أن أعيده إليك، ولا أخذ له جزاءًا؛ فقال لي لابد أن تأخذ، وألح علي كثيرًا، فلم أقبل ذلك منه، فتركني ومضى.

وأما ما كان مني، فإني خرجت من مكة، وركبت البحر، فانكسر المركب وغرق الناس، وهلكت أموالهم، وسلمت أنا على قطعة من المركب؛ فبقيت مدة فيه لا أدري أين أذهب؟ فوصلت إلى جزيرة فيها قوم، فقعدت في بعض المساجد، فسمعوني أقرأ، فلم يبق في تلك الجزيرة أحد إلا جاء إلي وقال علمني القرآن، فحصل لي من أولئك القوم شيء كثير من المال، ثم إني رأيت في ذلك المسجد أوراقًا من مصحف فأخذتها أقرأ فيها، فقالوا لي تحسن تكتب؟ فقلت نعم. فقالوا: علمنا الخط، فجاءوا بأولادهم من الصبيان والشباب فكنت أعلمهم، فحصل لي أيضًا من ذلك شيء كثير.

فقالوا لي بعد ذلك: عندنا صبية يتيمة، ولها شيء من الدنيا نريد أن تتزوج بها، فامتنعت؛ فقالوا لابد، وألزموني فأجبتهم إلي ذلك؛ فلما زفوها إلى مددت عيني أنظر إليها، فوجدت ذلك العقد بعينه معلقا في عنقها، فما كان لي حينئذ شغل إلا النظر إليه؛

فقالوا يا شيخ كسرت قلب هذه اليتيمة من نظرك إلى هذا العقد، ولم تنظر إليها، فقصصت عليهم قصة العقد.

فصاحوا وصرخوا بالتهليل والتكبير، حتى بلغ إلى جميع أهل الجزيرة؛ فقلت ما بكم؟! فقالوا ذلك الشيخ الذي أخذ منك العقد أبو هذه الصبية، وكان يقول ما وجدت في الدنيا مسلمًا إلا كهذا الذي رد علي هذا العقد، وكان يدعو ويقول: اللهم اجمع بيني وبينه حتى أزوجه بابنتي، والآن قد حصلت.

فبقيت معها مدة، ورزقت منها بولدين، ثم إنها ماتت فورثت العقد أنا وولداي، ثم مات الولدان فحصل العقد لي فبعته بمائة ألف دينار، وهذا المال الذي ترونه معي من بقايا ذلك المال[(١)] [(٢)].



(١) هذا اللفظ ورد في كتاب الاعتبار (١٧٨).

(٢) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ١٩٦).

قيدوه بالزواج

معمر بن راشد البصري رَحِمَهُ اللَّهُ أحد أئمة الحديث الكبار، كان يرحل من بلد إلى بلد لينشر الحديث النبوي، ويجمع إليه ما لم يكن عنده منه؛ فلما حل باليمن رغب أهل تلك الديار أن يبقى عندهم ليكسبوا من علمه وفضله؛ فاختاروا له قيدًا منعوه به من مغادرتهم، وكان ذلك القيد هو أن زوجوه امرأة منهم؛ فكانت قيدًا له حبسه عن الرحلة، والعودة إلى الوطن، فاستمر لديهم إلى آخر الحياة(١).

المستفاد من القصة:

١- بيان فضل أهل العلم بدين الله عَزَّ وَجَلَّ، وأهميتهم بالنسبة لعامة الناس.

٢- بيان أن الزواج قيد يضيق من حركة الإنسان نوعًا ما.



---

(١) (٢٨)

شرح تحفته وتزوج ابنته

الإمام أبو بكر السمرقندي صاحب «تحفة الفقهاء» (كتاب في المذهب الحنفي).

كان لهذا العالم الجليل بنت تسمى فاطمة، رباها فأحسن تربيتها، وعلمها فأحسن تعليمها، يقول صاحب كتاب الفوائد البهية:

وكانت ابنته الفقيهة زوجة علاء الدين الكاساني، وكانت تفقهت على أبيها، وحفظت تحفته، وكان زوجها يخطئ، فترده إلى الصواب، وكانت الفتوى تأتي فتخرج وعليها خطها وخط أبيها، فلما تزوجت صاحب البدائع كانت تخرج، وعليها خطها، وخط أبيها، وخط زوجها[1].

وقد تسامع الملوك بفاطمة فخطبوها من أبيها، فامتنع والدها من تزويجها، وكان من طلبة الشيخ تلميذ يسمى علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني، لازم شيخه، واشتغل بالعلم عليه، وبرع في علم أصول الفقه، والفقه، وصنف كتاب (بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع) في الفقه، وهو في الحقيقة شرح لكتاب شيخه «تحفة الفقهاء»، وعرض الكتاب على شيخه، ففرح به فرحًا شديدًا، وزوجه ابنته، وجعل مهرها منه ذلك الكتاب الذي ألفه، فقال الفقهاء في عصره: شرح تحفته وزوجه ابنته[2].



(١) الفوائد البهية للكنوي (١٥٨).

(٢) جولة في رياض العلماء (١٥٥، ١٥٦).

العفاف طريق الزواج (١)

كان في دمشق مسجد كبير اسمه جامع التوبة، وهو جامع مبارك، فيه أنس وجمال، وكان فيه منذ نحو سبعين سنة شيخ مرب عالم عامل اسمه الشيخ سليم المسوطي.

وكان مضرب المثل في فقره، وفي إبائه، وعزة نفسه، وبذلها للآخرين.

وكان يسكن في غرفة في المسجد، مر عليه يومان لم يأكل فيها شيئًا، وليس عنده ما يطعمه، ولا ما يشتري به طعامًا، فلما جاء اليوم الثالث أحس كأنه مشرف على الموت، وفكر ماذا يصنع، فرأى أنه بلغ حد الاضطرار الذي يجوز له أن يأكل الميتة، أو السرقة بمقدار الحاجة.

وآثر أن يسرق ما يقيم صلبه «هذا ما رآه في حالته هذه»، وكان المسجد يتصل سطحه ببعض البيوت، يستطيع المرء أن ينتقل من أولها إلى آخرها مشيًا على أسقفها، فصعد إلى أسقف المسجد، وانتقل منه إلى الدار التي تليه؛ فلمح بها نساء؛ فغض من بصره وابتعد، ونظر فرأى إلى جنبها دارًا خالية، وشم رائحة الطبخ تصدر منها، فأحس من جوعه لما شمها كأنها مغناطيس تجذبه إليها، وكانت البيوت من دور واحد، فقفز قفزتين من السقف إلى الشرفة، فصار في الدار، وأسرع إلى المطبخ فكشف غطاء القدر، فرأى فيها باذنجانًا محشوًا، فأخذ واحدة ولم يبالِ من شدة جوعه بسخونته، وعض منها عضة فما كاد يبتلعها حتى ارتد إليه عقله ودينه وقال لنفسه: أعوذ بالله، أنا طالب علم مقيم في المسجد، ثم أقتحم المنازل وأسرق ما فيها؟

وكبر عليه ما فعل، وندم واستغفر، ورد الباذنجانة، وعاد من حيث جاء، فنزل إلى المسجد، وقعد في حلقة الشيخ وهو لا يكاد من شدة الجوع يفهم ما يسمع، فلما انقضى الدرس وانصرف الناس، جاءت امرأة مستترة (منتقبة)، فكلمت الشيخ بكلام لم يسمعه؛ فتلفت الشيخ حوله فلم ير غيره؛ فدعاه، وقال له:

هل أنت متزوج؟

قال: لا.

قال: هل تريد الزواج؟

فسكت؛ فأعاد الشيخ سؤاله.

فقال: يا شيخ ما عندي ثمن رغيف والله؛ فلماذا أتزوج؟

قال الشيخ: إن هذه المرأة خبرتني أن زوجها توفي، وأنها غريبة عن هذا البلد، وليس لها فيه، ولا في الدنيا إلا عم عجوز فقير، وقد جاءت به معها، وأشار إليه قاعدًا في ركن الحلقة، وقد ورثت دار زوجها ومعاشه، وهي تحب أن تجد رجلاً يتزوجها لئلا تبقى منفردة فيطمع فيها.

فهل تريد أن تتزوجها؟

قال: نعم؟

وسألها الشيخ: هل تقبلي به زوجًا؟

قالت نعم:

وإذا دجى ليل الخطوب وأظلمت	سُبل الخلاص وخاب فيها الآملُ
وأيست من وجه النجاة فما لها	سبب ولا يدنو لها متناولُ
يأتيك من ألطافه الفرج الذي	لم تحتسبه وأنت عنه غافلُ

فدعا الشيخ عمها، ودعا شاهدين، وعقد العقد، ودفع المهر عن التلميذ، وقال له:

خذ بيد زوجتك؛ فأخذ بيدها فقادته إلى بيتها، فلما أدخلته كشفت عن وجهها؛ فرأى شبابًا وجمالا، وإذا البيت هو البيت الذي اقتحمه، وسألته هل تأكل؟

قال: نعم.

فكشفت غطاء القدر فرأت الباذنجانة؛ فقالت: عجبًا من الذي دخل الدار فعضها؟ فبكى الرجل وقص عليها الخبر.

فقالت له: هذه ثمرة الأمانة، عففت عن الباذنجانة الحرام فأعطاك الله الدار كلها، وصاحبتها بالحلال.



العفاف طريق الزواج (٢)

روي أن الشيخ إبراهيم الهلالي الحلبي العالم الصالح الجليل، ذهب إلى الجامع مع الأزهر يطلبُ العلم، وأثناء طلبه للعلم أملق وافتقر إلى النفقة، ومضى عليه أكثر من يوم وهو لا يجدُ ما يأكل، وجاع جُوعًا شديدًا، فخرج من غرفته في الأزهر ليسأل اللقمة والطعام فشاهد بابًا مفتوحًا، وشم منه رائحة الطعام؛ الذكية.

فدخل الباب إلى المطبخ؛ فلم يجد أحدًا، ووجد طعامًا شهيًا، فأخذ الملعقة وغمسها فيها، ثم لما أراد رفعها إلى فمه انقبضت نفسه عن تناولها، إذ لم يؤذن له بتناوله، فتركها! وخرج بجُوعه إلى غرفته في رواق الأزهر.

ولم يمض عليه نحو ساعة إلا وأحد شيوخه ومعه رجلٌ يدخلان عليه غرفته، ويقولُ له الشيخ: هذا الرجل الفاضل جاءني يريد طالب علم صالح، أختاره لابنته زوجًا، وقد اخترتك له، فقم بنا إلى بيته ليتم العقد بينكما، وتكون من أهل بيته.

فتحامل الشيخ إبراهيم على نفسه ممتثلاً أمر شيخه، وقام معهما، وإذا هما يذهبان به إلى البيت الذي دخله، وغمس الملعقة في طعامه ! ولما جلس عقد له والدُها عليه، وبادر بالطعام، فكان الطعام الذي غمس الملعقة فيه ثم تركها، فأكل منه قائلا في نفسه:

امتنعتُ عنه بغير إذن الله، فأطعمنيه الله بإذنه مكرمًا معززًا زوجًا.

ثم قدمت مع تلك المرأة الصالحة إلى حلب بعد انتهائه من التحصيل، وكانت أم أبنائه الصالحين[١].

□★□★□

(١) إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء (٧/ ٢٣١).

بركة التقوى

ذكر أن شابًا فيه تُقى، وفيه غفلة.. طلب العلم عند أحد المشايخ، حتى إذا أصاب منه حظًا قال الشيخ له ولرفقائه: لا تكونوا عالة على الناس؛ فإن العالم الذي يمد يده إلى أبناء الدنيا لا يكون فيه خير، وليذهب كل واحد منكم، وليشتغل بالصنعة التي كان أبوه يشتغل بها، وليتق الله فيها.

وذهب الشاب إلى أمه فقال لها:

ما هي الصنعة التي كان أبي يشتغل بها؟

فاضطربت المرأة فقالت: أبوك قد ذهب إلى رحمة الله، فمالك وللصنعة التي كان أبوك يشتغل بها؟

فألح عليها، وهي تتملص منه، حتى إذا اضطرها إلى الكلام أخبرته وهي كارهة أن أباه كان لصًا، فقال لها: إن الشيخ أمرنا أن يشتغل كلٌ بصنعة أبيه، ويَتقي الله فيها.

قالت الأم: ويحك، وهل في السرقة تقوى؟

وكان في الولد غفلة وحمق، فقال لها: هكذا قال الشيخ.

وذهب فسأل، وتسقط الأخبار حتى عرف كيف تسرق اللصوص، فأعد عدة السرقة، وصلى العشاء، وانتظر حتى نام الناس، وخرج ليشتغل بصنعة أبيه كما قال الشيخ.

فبدأ بدار جاره، وهم أن يدخلها، ثم ذكر أن الشيخ قد أوصاه بالتقوى، وليس من التقوى إيذاء الجار، فتخطى هذه الدار ومر بأخرى، فقال لنفسه:

هذه دار أيتام، والله حذر من أكل مال اليتيم.

وما زال يمشي حتى وصل إلى دار تاجر غني، ليس في حرس، وعلم من الناس أن عنده الأموال التي تزيد عن حاجته، فقال: هاهنا، وعالج الباب بالمفاتيح التي أعدها، ففتح ودخل

فوجد دارًا واسعةً، وغرفًا كثيرة، فجال فيها حتى اهتدى إلى مكان المال، وفتح الصندوق فوجد من الذهب والفضة والنقد شيئًا كثيرًا، فهم بأخذه ثم قال: لا، لقد أمرنا الشيخ بالتقوى، ولعل هذا التاجر لم يؤدِّ زكاة أمواله لنخرج الزكاة أولا.

وأخذ الدفاتر وأشعل فانوسًا صغيرًا جاء به معه، وراح يراجع الدفاتر ويحسب، وكان ماهرًا في الحساب، خبيرًا بإمساك الدفاتر، فأحصى الأموال، وحسب زكاتها؛ فنحى مقدار الزكاة جانبًا، واستغرق في الحساب حتى مضت ساعات، فنظر فإذا الفجر فقال:

تقوى الله تقضي بالصلاة أولا، وخرج إلى صحن الدار فتوضأ من البركة وأقام الصلاة، فسمع رب البيت فنظر فرأى عجبًا: فانوسًا مضيئًا ! ورأى صندوق أمواله مفتوحًا، ورجلاً يقيم الصلاة فقالت له امرأته: من هذا؟ قالت: والله لا أدري، ونزل إليه فقال: ويلك من أنت، وما هذا؟

قال اللص: الصلاة أولا ثم الكلام، فتوضأ، ثم تقدم فصلِّ بنا فإن الإمامة لصاحب الدار؛ فخاف صاحب الدار أن يكون معه سلاح ففعل ما أمره، والله أعلم كيف صلى، فلما قضيت الصلاة قال له: خبرني من أنت؟ وما شأنك؟ وماذا تصنع بدفاتري؟

قال: لص أحسب الزكاة التي لم تخرجها من ست سنين، وقد حسبتها وفرزتها لتضعها في مصارفها.

فكاد الرجل يجن من العجب، وقال له: ويلك، ما خبرك هل أنت مجنون؟

فخبر خبره كله، فلما سمعه التاجر، ورأى ضبط حسابه ذهب إلى زوجته فتكلما، وكان له بنت، ثم رجع إليه فقال له: ما رأيك لو زوجتك بنتي، وجعلتك كاتبًا وحاسبًا عندي، وأسكنتك أنت وأمك في داري، ثم جعلتك شريكي؟

قال: أقبل، وأصبح الصباح فدعا المأذون بالشهود وعقد العقد[1].

---

(١) قصص إيمانية (٤٣: ٤٦).

فوائد عامة

لقد ظهر من خلال هذا القصص عدة فوائد نسجت في نسيج واحد وهي:

١- طاعة الصحابة للنبي ﷺ والانقياد لأمره دون تردد، بل فدوه بآبائهم وأمهاتهم وأبنائهم، وقاتلوا دونه، ورفعوا رايته، وأعزوا سنته، ونصروا شريعته، فدانت لهم مشارق الأرض ومغاربها لأنهم آمنوا به قولاً وفعلاً، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة: ٧].

لأنهم علموا ما أعد الله لهم من جزاء لاتباعهم النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴾ [النور: ٥٢].

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ [الفتح: ١٧].

٢- هوان الدنيا عند السلف رضوا الله عليهم، فلم ينظروا إلى الدور أو القصور، ولا لأصحاب الأموال، ولا لأصحاب المناصب.

ولكنهم اختاروا الباقي الذي لا يزول، اختاروا أصحاب الإيمان والدين.

٣- علمنا من هذا القصص أن السعادة في كنف العزيز، وأن السعيد من التزم شرع الله ﷻ، وبهذا أخبر سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَاۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴾ [طه: ١٢٤:١٢٦].

إذن، فلا بد من عودة صادقة لكتاب الله، وسنة رسول الله ﷺ حتى تسعد النفس سعادة حقيقية في ظل طاعة ربها واتباع سنة نبيها ﷺ.

٤- تعلمنا من هذا القصص اختيار الزوج على أساس قول النبي ﷺ: «إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[١].

هذا هو الأصل في الزوج الدين، لقد أصبح الزواج اليوم هو زواج الدرهم بالدينار، والدينار بالسبيكة، لله در سعيد بن المسيب رحمه الله حين زوج ابنته من طالب علم فقير وهو الذي رفض أن يزوج ابنته من صاحب العز والجاه، والمنصب والسلطان، من رئيس الدولة الإسلامية في العصر الأموي، ثم يزوجها من طالب علم فقير أرمل.

لكن هذا الطالب الفقير الأرمل كان يملك اعظم مهرٍ يقدمه خطيب لخطيبته، وزوج لزوجته، كان عنده العلمُ والدين والتقوى.

لم ينظر إلى المنصب والجاه والسلطان، ولم ينظر إلى مباهج الدنيا وزينتها، وقناطيرها المقنطرة من الذهب والفضة، والخيل المسومة والأنعام، لأن ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب.

إن العلماء: كالإمام مالك نقل عن محمد بن سيرين وعمر بن عبد العزيز من التابعين، وابن مسعود وابن عمر رضي الله عنهم أجمعين أن الكفاءة معتبرة بالاستقامة والخلق فقط، ولا اعتبار لنسب[٢]، ولا لصناعة، ولا لغنى، ولا لشيء آخر.

فيجوز للرجل الذي لا نسب له، أن يتزوج المرأة النسيبة، ولصاحب الحرفة الدنيئة أن يتزوج المرأة الرفيعة القدر، ومن لا جاه له أن يتزوج صاحبة الجاه والشهرة، وللفقير أن يتزوج المثرية الغنية - ما دام مسلمًا عفيفًا.

٥- وأنه ليس لأحد من الأولياء الاعتراض، ولا طلب التفريق، وإن كان غير مستوفي الدرجة مع الولي الذي تولى العقد، مادام الزواج كان عن رضى منها، فإذا لم يتوفر شرط الاستقامة عند الرجل، فلا يكون كفؤًا للمرأة الصالحة.. ولها الحق في طلب فسخ العقد، إذا كانت بكراً، وأجبرها أبوها على الزواج من الفاسق.

---

(١) رواه الترمذي (١/ ٢٠١)، وابن ماجه (١٩٦٧) والحاكم (٢/ ١٦٤، ١٦٥)، وحسنه الألباني بشواهده الإرواء (٦/ ٢٦٦).

(٢) قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: ولم يثبت في اعتبار الكفاءة بالنسب حديث- فتح الباري (٩/ ١٣٠١).

قال في (بداية المجتهد): ولم يختلف المذهب - أي المالكي - أن البكر إذا زوجها الأب من شارب الخمر، وبالجملة من فاسق، أن لها أن تمنع نفسها من النكاح، وينظر الحاكم في ذلك، فيفرق بينهما، وكذلك إن زوَّجها ممَّن ماله حرام، أو ممن هو كثير الحلف بالطلاق(١).

واستدل أصحاب هذا المذهب بأدلة:

منها: قوله ﷻ: ﴿وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾ [النور: ٢٦].

ومنها: قوله جل وعلا: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ [التوبة: ٧١].

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

ومنها: قول الله ﷻ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

فأهل الإسلام أخوة.

ولكن في زماننا هذا أصبح الزواج زواج الشهادات، زواج السيارات والعمارات.

قال تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٢].

فهذه الآية دليل على تزويج الفقير الصالح النقي دون مبالاة بفقره، على وعد من الله ﷻ بأنه سيغنيهم من فضله، قال ﷺ: «**ثلاثة حق الله عونهم، الناكح يريد العفاف**»(٢).

فالمال ظل زائل، وحال حائل، ومال مائل، وقد زوج رسول الله ﷺ المرأة التي جاءت لتهب نفسها له، من رجل ليس له سوى إزار واحد، وزوج ﷺ ابنته فاطمة ﷺ إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وهو أشد ما يكون فقرًا، وآثره بها على غيره من أشراف قريش.

ألا إنما التقوى هي العز والكرم ... وحبك للدنيا هو الذل والسقم

وليس على عبد تقي نقيصة ... إذا حقق التقوى وإن حاك أو حجم

---

(١) بداية المجتهد (١٦١٢).

(٢) صحيح: رواه الإمام أحمد (٧٤١٠، ٩٦٢٩)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٦/ ٢٨٥٩)، وقال صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافق الذهبي.

لقد قال بعض أهل العلم: الرجل العالم هو كُفءٌ لكل امرأة مهما كان نسبها، وإن لم يكن له نسب معروف، وذلك لأن شرف العلم دونه كل نسب، وكل شرف:

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩].

وقال جل وعلا: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

إن المتأمل في قصص زواج الصالحين سيعلم أن أهم شرط في صلاح الزوج والزوجة الدين.

ورحم الله الإمام الحسن رحمه الله حين سُئل: لمن أزوج ابنتي؟

أجاب قائلا: «للتقي النقي: الذي إذا أحبها أكرمها، وإذا أبغضها لم يهنها».

ولكن أغلب الناس في هذا العصر – نتيجةً لجهلهم بروح الإسلام، وبعدهم عن نور سراجه المنير – أعرضوا عن تزويج كريماتهم بذوي المروءة والدين، بسبب فقرهم، ورقة حالهم، وباعوا فلذات أكبادهم، وثمرات أفئدتهم للفُساق والفجار، رغبةً في مالهم وجاههم، وعزهم وسلطانهم.. نعم، إنهم أصبحوا وصاروا يتحرون الدقة في البحث عن الزوج من الناحية المادية، والمظاهر والمراتب، غير مبالين بأي نقيصة في الخلق والدين؛ لذلك لم يكن عَجَبًا أن تقوم مثلُ هذه الزيجات على شفا حفرة من نار لا تكاد تُعقدُ حتى تنفصم عراها، ولا تبدأ حتى يحين منتهاها، تاركة خلفها الشقاء الأليم بالنسبة للزوجات البريئات، والحسرة الدائمة بالنسبة للآباء والأمهات، والمستقبل المظلم بالنسبة للأولاد.

أن الناس بجهلهم وطيشهم هذا لا يُعيرون لأنفسهم وعقولهم تفكيرًا حرًا سليمًا بعيدًا عن الدنيا، ومباهجها ومناصبها، عما سيحدث في عاقبة أمرهم.

فكل خطأ تزرعه العاجلة، تقلعه الآجلة: فلا تغرس لكم الآمال إلا ما تجنيه الآجال؛ ومن علامات النجاح في النهايات، الرجوع إلى الله في البدايات؛ فلا تنظروا إلى الدُّنيا وبريقها الخلاب، ولا إلى زينتها وحُلِيِّها الخداع.

وواأسفاه عندما نجدُ المسلمين اليوم ينظرون إلى الخاطب نظرة ماديةً بحتة، كم من الجنيهات يملك، وهل عنده سيارة؟ كم مرتبه؟

ما الشهادات الجامعية التي يحملها؟ وما منصبه؟ وغفلوا عن هدي رسول الله ﷺ الذي قال: «**إذا جَاءَكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**».

ولأننا خالفنا هذا الإرشاد كثر الفساد في مُجْتَمَعِنا، وكثر النزاع والشقاق، والفراق والطلاق.. نعم.. مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ.. ولم يقل من ترضون ماله وغناه، وترضون حالته المادية والاقتصادية والسياسية، بل ترضون دينه وخلقه.

لأن صاحب الدين والخلق إذا أحب زوجته أكرمها، وإذا أبغضها لم يظلمها. لأن له وازعًا يزعه، ولأن له رادعًا يردعُه، ولأن له غيرةً على امرأته وزوجته تمنعه من أذيتها.

رأيت الناس قد مالوا	إلى من عنده مالُ
ومن لم يغنه المال	فعنه الناسُ قد مالوا
رأيت الناس منفضة	إلى من عنده فضة
ومن لم تغنه الفضة	فعنه الناس منفضّة

إن المال زائل لا يبقى كما قال أبا طالب بن عبد المطلب عندما خطب خديجة بنت خويلد رضي الله عنها النبي ﷺ: «وإن كان في المال قلّ، فإن المال ظلّ زائل، وأمرٌ حائل، وعارية مسترجعة».

هذا في العصر الجاهلي، فما بالكم بالعصر الإسلامي، اللهم ردنا إلى دينك ردًا جميلاً.

٦- تعلمنا من هذا القصص كيف نختار الزوجة:

نختار الزوجة على أساس الدين، فهذا الأساس على ضوء حديث النبي ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»(١).

وتربت يداك، كلمة تفيد الحث والتحريض.

إن المرأة ذات المال من الممكن أن يزول، والمرأة ذات الجمال عندما تتقدم في السن يزول جمالها، ولا يغني عنها حسبها، ولكن الذي يبقى ويدوم هو الدين.

---

(١) متفق عليه.

ذات الدين: هي التي تقوم بواجبها الأكمل في صيانة نفسها، وحفظ فرجها، وتقوم بواجبها في أداء حق الزوج، وأداء حق الأولاد، وأداء حق البيت على النحو الذي أمر به الإسلام.

ذات الدين: هي المرأة الصالحة التي أخبر عنها النبي ﷺ فقال: «**الدُّنيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ**»[1].

المرأة الصالحة من السعادة: بذلك أخبر النبي ﷺ فقال: «**أَرْبَعٌ مِنَ السَّعَادَةِ: المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ، وَالمَسْكَنُ الوَاسِعُ، وَالجَارُ الصَّالِحُ، وَالمَرْكَبُ الهَنِيءُ، وَأَرْبَعٌ مِنَ الشَّقَاءِ: الجَارُ السُّوءُ، وَالمَرْأَةُ السُّوءُ، وَالمَرْكَبُ السُّوءُ، وَالمَسْكَنُ الضَّيِّقُ**»[2].

ولله در من قال:

سعادة المرء في خمس إذا اجتمعت ... صلاح جيرانه والبر في ولده

وزوجة حسنت أخلاقها، وكذا ... خل وفي، ورزق المرء في بلده

إن المرأة إذا كانت ضعيفة الدين ستتعب زوجها، وسودت بين الناس وجهه، وشوشت بالغيرة قلبه، وتنغص بذلك عيشه.

فإن سلك سبيل الحمية والغيرة لم يزل في بلاءٍ ومحنة، وإن سلك سبيل التساهل كان متهاونًا بدينه وعرضه، ومنسوبًا إلى قلة الحمية وعدم الغيرة، ومخالفًا لقوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ**﴾ [التحريم: ٦].

قال الإمام ابن عبد القوي في «منظومة الآداب»:

وخير النساء من سرت الزوج منظرًا ... ومن حفظته في مغيب ومشهد

قصيرة ألفاظ قصيرةُ بيتها ... قصيرة طرف العين عن كل أبعدِ

عليك بذات الدين تظفر بالمنى الـ ... ودودِ الولودِ الأصلِ ذات التعبد[3]

---

(١) صحيح: رواه مسلم (١٤٦٧).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان (١٢٣٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢٨٢).

(٣) غذاء الألباب (٢/ ٣٤٢: ٣٥٠).

٧- تعلمنا من هذه القصص كيف كان مهر السابقين الذين أمر الله ﷻ أن نقتدي بهم في سلوكهم ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ﴾ [الأنعام: ٩٠]، المهر يكون يسيرًا حتى يكون زواجًا مباركًا، قال النبي ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرَهُ مَئُونَةً»(١).

وعن أم المؤمنين عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «إِنَّ مِنْ يُمْنِ الْمَرأَةِ تَيْسِيرَ خِطبَتِها، وَتَيْسِيرَ صَدَاقِهَا، وَتَيْسِيرَ رَحِمَهَا»(٢).

قالت عائشة ﵂: «وأنا أقول من عندي: من أول شؤمها أن يكثر صداقها».

وقال عروة: يعني تيسير رحمها للولادة.

وأتبع النبي ﷺ السُنّة القولية بالسنة العملية موضحًا معنى هذا التيسير، فلم يزد في مهور بناته ولا نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية، ونشًا عن أبي العجفاء السلمي قال: خطبنا عمر يومًا، فقال: «ألا تغالوا في صدقات النساء، فإن ذلك لو كان مكرمة(٣) في الدنيا، وتقوى عند الله، كان أولاكم بها رسول الله ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أصدقت امرأة من بناته، أكثر من ثنتي عشرة أوقية»(٤).



---

(١) صحيح: رواه الإمام أحمد (٢٤٠٠٨)، والحاكم بغير هذا اللفظ (٢/ ١٧٨).

(٢) صحيح: رواه أحمد (٦/ ١٩٠٧٧)، وابن حبان (١٢٥٦)، والحاكم (٢/ ١٨١) على شرط الشيخين والألباني، صحيح الجامع (٢/ ٢٥١).

(٣) وفي هذا النص من أمير المؤمنين ﷺ إبطال صريح لما يتوهمه الذين لا يفقهون من أن غلاء المهور مكرمة للمرأة في الدنيا إذ لو كان كذلك لكان النبي ﷺ أولى بذلك.

وإن من الشرف والمكرمة المسامحة والتيسير على الآخرين، وهذا هو شأن الفضلاء الكرماء، لا يرون كثرة الصداق في نفوسهم شيئًا، وإنما جل الإهتمام باختيار الكفؤ لموليته، الذي يتقي الله فيها، وهذا هو النكاح الجدير باليمن والبركة.

(٤) صحيح: رواه أبو داود (٢١٠٦)، والترمذي (١١١٤)، والألباني الإرواء (٦/ ٣٤٧).

قصة منكرة

شاع بين الألسنة قصة اعتراض المرأة على عمر رضي الله عنه، قائلة له: نهيت الناس آنفًا أن يغالوا في صداق النساء، والله تعالى يقول في كتابه:

﴿وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا﴾ [النساء: ٢٠].

فقال عمر رضي الله عنه: وكل أحد أفقه من عمر مرتين أو ثلاثًا، ثم رجع إلى المنبر، فقال للناس: إني كنت نهيتكم أن تغالوا في صداق النساء ألا فليفعل رجل في ماله ما بدا له[١].

قال شيخي على حشيش حفظه الله:

وهذه من القصص التي يروجها الرافضة للطعن في شخصية الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وادعائهم أن امرأة خاصمت عمر فَخَصمتْه[٢].

❐★❐★❐

(١) أخرجه البيهقي(٧ / ٢٣٣)، وقال هذا منقطع، وقال الألباني في الإرواء: ضعيف منكر ا.هـ.(٦ / ٣٤٨).

(٢) مجلة التوحيد(٥٥) - العدد(٤٣٣) - باب تحذير الداعية من القصص الواهية.

هدي السلف في الصداق

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد كان السلف الصالح الطيب يرخصون الصداق، فتزوج عبد الرحمن بن عوف في عهد رسول الله ﷺ على وزن نواة من ذهب، قالوا: وزنها ثلاثة دراهم وثلث، وزوج سعيد بن المسيب بنته على درهمين، وهي من أفضل من في قريش، بعد أن خطبها الخليفة لابنه، فأبى أن يزوجها له[(١)].

هكذا كانت سيرة السلف الصالح ﷺ في شأن المهر، ثم خَلَفَ من بعدهم خَلْفٌ سيطر على أفكارهم النظرة التجارية، فتراهم يغالون في المهور، حتى إنه لا يكاد يخرج بعضهم من عقد زواج إلا وهم يتحدثون عن المهر، وكم بلغ من الأرقام القيّاسية؟!

كأنما خرجوا من حلبة السباق، أو مزايدة؛ فما هذه التقاليد التي تمسكنا بها إلا طقوس فرعونيّةٌ جهنمية، لهدم الأسرة، وعَرْقَلَةِ زواج الشباب.

فمتى نصحو من هذه التقاليد الجاهلية؟

وإن من مضار غلاء المهور في عصرنا هذا، أن والد الفتاة يُلزم الخاطب بالمهر الفادح ليستعين به على جهاز ضخم ثقيل، وكثيرًا ما يلجأ الخاطب أو أهله إلى الاستدانة من الغير، فيبتدئ هذا الخاطب حياته بالهم والشقاء، وما الدَّين إلا هَمٌّ في الليل، وذل في النهار.

ثم تجد الخاطب يرد بالمثل؛ فيرهق أهل العروس بشراء ألوان الثياب والأثاث والتحف والزينة، ويضطر أهل العروس إلى أن ينفقوا صداقها ومثله أو أمثاله معه؛ فيركبهم الدين، وكل هذا من قبيل الزهو والفخر، إسراف لا حاجة، ولا ضرورة له، بل هو من الأمور التي ذمها الله ﷻ في القرآن؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧].

---

(١) مجموع الفتاوى (٣٢/ ١٩٤، ١٩٥).

إن الإسلام مبنيٌ على اليسر، وعلى قلة التكاليف، لا على العسر وكثرة التكاليف.

ومن الأمور المؤلمة في عصرنا أننا نحن معشر الشباب قد تجاوزنا العشرين، بل منا من قارب الثلاثين ولم يتزوج؛ لماذا؟ لضيق ذات اليد: نعمل مرتب لا يكفي لنوفر منه مبلغًا كبيرًا للمهر، ولتجهيز الشقة بأحدث الأثاث والأجهزة الكهربائية، وتكاليف حفل الزواج: من فستان الزفاف، وطعام للمدعوين، وثمن للشبكة، وإلخ.... لذا تعذر النكاح علينا معشر الشباب.

وهذا ما زرع أبي وحصدته أنا؛ لأننا جميعًا خالفنا سنة النبي ﷺ في الزواج، وهذا من شؤم المعصية.

تعلمنا من هذا القصص أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، والنبي ﷺ أمر أهل الزوجة (العروس) بأنه: «**إذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ**».

فإذا امتنع الوالد عن أن يزوج ابنته ممن عرف عنه الصلاح والعلم فلها أن تجعل أمرها للولي الأبعد: كجدها من ناحية الأب.

ولا شك أن الولي يمتنع من تزويج موليته بالكفء الصالح لظنه أنه لا يدفع له صداقًا كثيرًا، لا شك أنه غاش لرعيته، لا ينظر في مصلحتها، بل هوى نفسه، وهو مع ذلك مرتكب للعضل الذي يعتبر من تكرر منه فاسقًا، ناقص الدين، ساقط العدالة حتى يتوب.



نصيحة إلى الأولياء

إلى كل مسلم، إلى كل منصف، إلى كل من استرعاه الله رعية من بنات وأخوات وأقارب أسوق هذا الرجاء:

فأوصيك أيها المسلم الكريم ونفسي بتقوى الله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وأوصيك بالإحسان إلى مولياتك من بنات وأخوات وأقارب؛ فهن أمانة في عنقك، وقد استرعاك الله عليهن، ومن الإحسان إليهن تزويج البالغة من الخاطب الكفء، والمبادرة بذلك حينما يتقدمَ لخطبتها، واتخاذ جانب اليسر والتسامح من باب التعاون على البر والتقوى، والحذر من وضع العوائق دون تحقيق الزواج، أو رفع المهور بحيث يتعذر على الخاطب إحضار المطلوب فيتعجل هو، ويلتمس غيرها، وقد يجد من يقنع باليسير مع الكفاف والعفاف، بينما تبقى مخطوبته الأولى في سجن الوحدة والانفراد والحرمان الذي قد يفضي بها يومًا إلى الترمل والعجز.

فاتق الله يا أخي المسلم، وأحسن إلى مولياتك كما أحسن كثيرون جدًا إلى مولياتهم: بالمبادرة إلى تزويجهن، وتسهيل أمور الزواج، وإعانتهن من أموالهم لإظهارهن بالمظهر المناسب، ومنهم من يدفعون تكاليف الزواج والمهور من جيوبهم لوجه الله؛ حيث تكون أحوال الزوج المادية تقتضي ذلك، ومنهم من إذا شعر بحاجة ابنته أو موليته للزواج التمس لها من أقاربه، أو من غير أقاربه من يتفرس فيه الكفاءة والصلاحية، ويدفع المهر من ماله، وقد يؤمِّن لها مع ذلك النفقة والمسكن، كل ذلك لراحة ابنته، وإنقاذها من زوبعة الوحدة والوساوس، والأفكار السوداء، والخواطر المتجهمة، وليفوز بثواب إحسانه عند الله حيث أحسن إليها بإخراجها إلى دنيا الزوجية؛ فأصبحت زوجة وأمًا، ومدبرة في بيتها، وراعية أمينة بعد أن كانت معطلة مطمورة، مقهورة معذبة، وأحسن إلى نفسه بحسن الاختيار لها،

وسلم من ظلمها وحرمانها ومآسيها، ورعى الأمانة، وأصاب السنة والفطرة، فأحسن الله إلى كل من أحسن إلى موليته كهذا المحسن، ولم يوصد الباب دون الخطاب، ولم يعرقل زواجها لأغراضه، ومن يفعل ذلك فقد خان أمانته، وظلم نفسه، وعرضها لأعظم مسئولية أمام الله حينما يسأله تعالى لم حرم موليته من الزواج الشرعي، ومن الذرية، ومن معنوياتها ومقامها في المجتمع، ولم أيمها وأرملها، وحسرها وقسرها، وأذلها وأضاع نصيبها وحقوقها في الحياة، وعرضها وللأضرار والأمراض والأفكار، ولم خالف فيهن وصية رسول الله ﷺ القائل: «**اسْتَوْصُوا بالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ عِنْدَكُمْ** - أي أسيرات - **أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ**»[1]، وقال: «**أَنَا خَيْرُكُمْ لأَهْلِي**»[2]، فهي وصية نبوية شاملة لازمة الامتثال لما تضمنته من معاني السمو والعطف والرحمة، وفيض الإحسان من نبي الرحمة ورسول الهدى ﷺ[3].



---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح: رواه ابن ماجه، وابن حبان، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣١٤)

(٣) من رسالة الطرق الشرعية لحل المشاكل الزوجية للشيخ سليمان الحميضي.

يَسرُوا ولا تُعسِرُوا

ما أحلى ما قاله الرسول ﷺ، وما أروعه!! فلعلنا نستمع علنا ننتفع.

روى الإمام أحمد، والبخاري، ومسلم، والنسائي، من حديث أنس بن مالك ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِرُوا. بَشِّرُوا وَلاَ تُنَفِّرُوا»(١).

هذا الحديث العظيم نص عام في كل شيء يحتاج إلى التيسير، ومن ذلك الصداق، وما يترتب على الزواج من هدايا، وحفلات، كل ذلك يتأكد فيه التيسير، والتسامح.

أما المغالاة، والبذخ، والإسراف، فيحرم ذلك.

فيا معشر المسلمين عامة، ويا أولياء الفتيات خاصة، ارحموا الفتيان، ارحموا الفتيات، ارحموهم جميعًا، ارحموا عباد الله، فقد كثر العُزَّاب، وكثرت العوانس، اكسروا من غلواء الطمع والتفاخر والاشتهار، تسامحوا تسامحوا، سامحكم الله، يسروا ولا تعسروا، سهلوا طريق الزواج، والمصلحة للجميع، وأبرك زواج أقله تكاليف.

قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ النِّكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرَهُ مُؤْنَةً»(٢).



(١) متفق عليه.

(٢) يا فتاة الإسلام اقرأي حتى لا تخدعي، باختصار(٣١٨، ٣١٩)

قصة وعبرة

كان ممن تأثرت أخلاقهم وأفكارهم بالطفرة المادية.. فأصبح المال محبوبه الأول.. وأعمت المادة بصيرته فلم يعد يبصر إلا من خلال ثقوبها الضيقة.. وأصبح المال ميزانه الذي يزن به الأمور.. وكانت له ابنة بلغت مبلغ الزواج.. وأخذ الخطاب على اختلاف مراتبهم يدقون أبوابه راغبين في الزواج من ابنته.

ولكنه كان يردهم بحجج واهية ظاهرها المصلحة، وباطنها المادة.. مع أن من هؤلاء الخطاب أصحاب دين وخلق... ممن أوصى الرسول ﷺ بهم.. ولكن كان لسان حاله يقول: أين الذي يدفع أكثر.. والمنافع والمصالح من ورائه أكبر؟

ومرت الأيام.. وظل على أحلامه المادية.. ومرت الأعوام.. وترك قطار الزمن ابنته في محطة العنوسة.. وغادر الخطاب بابه.. واتجهوا لغيره ممن لديهم بقية دين وخلق.. ممن يرفضون بيع بناتهم كنعاج في الحراج.

وذبل شباب ابنته.. وانطفأت نضارتها.. وذوى عودها.. ومع الأيام دب السقم في جوانحها.. وأصيبت بداء عضال أضنى الأطباء شفاؤه.. ونقلت إلى المستشفى.. وحانت لحظاتها الأخيرة..

وأخبر والدها بالأمر.. فأفاق من عالمه المادي، وأتى مسرعًا.. ليرى ابنته في ثوب المرض.. بعد أن حرمها منذ زمن من ثوب الزفاف.. نظر إليها مشفقًا عليها.. نظرت إليه بعينين قد اغرورقت بالدمع..وأخذت تتمتم وتحرك شفتيها... دنا منها ليسمع ما تريد البوح به في لحظتها الأخيرة.. فوجدها تطلب منه أن يقول آمين..

فقال: آمين.. ثم تمتمت مرة أخرى، وطلبت منه أن يقول آمين.. فقال: آمين.. ثم فعلت ذلك مرة ثالثة، وطلبت منه أن يقول آمين... فقالها.

وبعد فترة من الصمت المشحون بالأسى.. سألها برفق عن الدعاء الذي طلبت منه أن يؤمن عليه.. فانحدرت دموعها الأخيرة.. وأجابت بعد صمت بصوت واهن مليء بالأسى..

لقد دعوت الله أن يحرمك من الجنة كما حرمتني من الزواج.

وطوى القبر في باطنه مأساة دامية.. وبقي المجرم الذي أعمى الجشع بصيرته.. بقي يندب نفسه وابنته.. ويعض أصابع الندم.. ولات ساعة ندم... هذه مأساة سمعنا بها وعرفناها؛ فيا ترى كم من المآسي من هذا النوع تمت في صمت ولم نسمع بها.. ما دام الناس في إعراض عن الحياة وفق الشريعة وآدابها.. فلا شك أن هناك الكثير من هذا النوع.. وما خفي كان أعظم[1].

قلت:

١- دعاء البنت على أبيها فيه سوء أدب مع الوالدين، ينبغي أن تترفع عنه الفتاة المسلمة، وإن ظلمها أبوها... وإنما ذكرت هذا الموقف.. على ما فيه تحذيرٌ للآباء والأمهات من إعضال بناتهم.

٢- إن العنوسة ابتلاء من الله، ينبغي للمرأة أن تصبر وتحتسب له، وأن ترضى بما كتب الله لها: **«مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلا وَصَبٍ، وَلا هَمّ وَلا حَزَنٍ، وَلا أذى، ولا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةُ يُشَاكُهَا إلا كَفَّرَ الله بهَا مِنْ خَطَايَاهُ»**[2]

وفي القصة درس مهم؛ وهو لزوم التنبيه، والتحذير من السلبية الاجتماعية، والتهاون في المناصحة، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فلاشك أن هذا الأب له أقرباء وأصدقاء وجيران فلمَ لَمْ ينصحوه؟

وإذا نصحوه فلم ينتصح لِمَ لَمْ يقاطعوه؟

وإذا قاطعوه فلم يرتدع لِمَ لَمْ يعاقبوه؟

غالب الظن في كثير من هذه الحالات أن هؤلاء يغتابونه، وينهشون عرضه بذكر مثالبه في المجالس، دون أن يواجهوه ليصلحوه، لو أن كل مخطئ وجد من ينصحه، ووجد مجتمعًا يلومه ويحاصره لما ركب رأسه، وحكم هواه كما فعل هذا الأب الجاني[3].

---

(١) المرجع: النور، العدد (٩٩).

(٢) صحيح: رواه البخاري، كتاب المرض، باب ما جاء في كفارة المرض، فتح الباري (١٠/ ١٠٧).

(٣) كشكول الأسرة (٣٤: ٣٦).

نصيحة إلى الفتيات

وجهتها امرأة مسلمة إلى الفتيات حول أمر الزواج فقالت: إذا أردت أن تحققي زواجًا سعيدًا فتذكري قول أفضل الأنام عليه الصلاة والسلام: «**أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة**» فغالبًا يكون الزوج شابًا حديث التخرج، هذا إذا لم يكن طالبًا؛ فأنى لمثل هذا أن يقدم مهرك الألوف، ثم إنك ستكونين شريكته طوال عمرك، وستكونين سكنًا له، أي فائدة تجنيها إذا أرهقته بالديون، لا أعتقد أن هناك فائدة، اللهم إلا إرضاء غريزة الغرور لديك، والظهور بالمظاهر البراقة الزائفة.

هل يسعدك أن تتنعمي بالملابس الثمينة، بينما زوجك لا ينام الليل من التفكير فيما عليه من الديون.

لقد آن للفتاة الواعية أن تتحرر من القيود الاجتماعية التي فرضها علينا انعدام الوعي، وقلة الإدراك.

أنتما زوجان جديدان، فهل من الضرورة أن تفرشا منزلكما بأفخر الأثاث! إذا جعلت البيوت للسكن والراحة لا لعرض أحدث ما تنتجه المصانع من أثاث.

ثم هذه الملابس التي تفصلينها لمناسبة زواجك، وتكلفك الكثير ما نفعها، وماذا تكسبين بها؟ إعجاب الناس.

إن إعجاب الناس لا يرفعك درجات عند ربك، ولا يزيد مكانتك عند زوجك، وفي اعتقادي أنه لو كان عند إحدانا ذرة عقل، وتحررت من التمسك بالعادات التي لا تمت لديننا بصلة، وفكرت في الذهب الذي يسلمه العريس لعروسه.

أقول: لو فكرت إحدانا جديًا لأحست بمدى تفاهة هذه العادة، ما معنى أن تضع الواحدة منا في يدها كومًا من الذهب؟

وأي منطق يستحسن أن ترتدي الواحدة فستانًا كلفته مئات، هل تظن هذه أنها معرض مجوهرات وملابس؟ ربما، لست أدري.

ليتني أستصرخ أخواتي في الله أن ينبذن التقاليد التافهة، وأن يقتدين بنساء السلف الصالح، ولتفكر كل واحدة منا هل هي تتزوج لتكون أسرة صالحة، أو تتزوج لتزيد عدد فساتينها، ومجوهراتها، وتقيم حفلة يتحدث عنها الناس.

وأود أن أختم مقالي ببعض الهمسات التي أرجو أن تجد آذانًا مصغية من أخواتي في الله:

١ - إذا تقدم لخطبتك من ترضين خلقه ودينه فاقبلي، ولا تفكري فيما عدا ذلك من المعايير الدنيوية، التي استحدثناها، ولم ينزل الله بها من سلطان.

٢- لا تطلبي مهرًا غاليًا فتكفيك تقوى زوجك مهرًا لا يقدر بثمن، ولكن لا مانع أن تأخذي حاجتك بدون زيادة، وحاولي قدر الإمكان تجنب التبذير، ومحاكاة الغير.

٣- من المستحسن أن تعلني زواجك بالدف[١]، كما أذن المصطفى عليه الصلاة والسلام، ولكن ابتعدي عن المغالاة في كلفة حفل الزواج، واستئجار الفنادق والمسارح الباهظة الثمن واستحضار المغنيات، فإن ذلك لا يجوز شرعًا[٢].

٤- اجعلي شخصيتك إسلامية خالصة، وابتعدي عن العادات الدخيلة على مجتمعنا الإسلامي، والتي أتينا بها من الغرب النصراني.

ولا داعي لارتداء الثوب الأبيض، فعلاوة على أنه تشبه بالكافرات، فهو مرتفع التكاليف، برغم أنه لا يلبس إلا مرة واحدة.

أما إذا كنت تريدين حتمية ارتداء ثوب معين لهذه المناسبة، فتراثنا يغنيك عن استقدام العادات الدخيلة.

وأخيرًا تخلقي بالخلق الإسلامي في معاملتك لزوجك لتفوزي بخيري الدنيا والآخرة، وفق الله الجميع لما يحبه ويرضاه[٣].

أختكم في الله
أميمة المحمود

---

(١) هذا الأمر خاص بالنساء.

(٢) أفردنا الحديث عن هذا الأمر في كتابنا (نداء للمقبلين على الزواج: الحذر.. الحذر) ط. دار الصفا والمروة.

(٣) يا فتاة الإسلام اقرأي حتى لا تخدعي(٣٢١: ٣٢٥) باختصار وتصرف يسير.

عِبر من قصص الزواج الأخرى وبيان حاله

الزواج الآخر يكون زواج المال، أو زواج الحسب، فتجد هذا الزواج مليئًا بالمشاكل والهموم والعقبات، وفساد الانتهاء من فساد الابتداء، ومن هذه الأمثلة ما يلي:

١- هند بنت عبد الله بن جعفر:

زوجها أبوها من الحجاج بن يوسف الثقفي، لأنه وفى عنه دينه، وأعطاه ألف ألف درهم، وما حمله على ذلك إلا ضيق ذات يده، وقد كانت هند هذه من أوضأ النساء وجهًا، وأبينهن بيانًا، وأسمحهن يدًا.

فلما زفت إلى الحجاج بكت، فسألت عن السبب، فقالت: أبكي من شرف اتضع، ومن ضعة شرفت.

ووقفت يومًا أمام المرآة تتأمل حسنها، وأنشدت تقول:

وما هند إلا مهرة عربية سليلة أفراس تحللها بغل!

فإن ولدت مهرًا فلله درها وإن ولدت بغلاً فجاء به بغل

وكان الحجاج عندئذ آتيًا من وراء حجاب، وصك أذنيه ما سمعه من هند، فقال غاضبًا:

يا هند؛ لقد كنت فبنت! طلقها.

وسرعان ما أجابته:

لقد كنا فما فرحنا، وبنَّا فما ندمنا.

ويصل الأمر إلى الخليفة عبد الملك بن مروان، فيعجب من فصاحة هند، وخطبها إلى نفسه.

وتقبل هند، إلا أنها تشترط أن يقود الحجاج هودجها من بيتها إلى قصر الخليفة.

ويقبل عبد الملك، ويسير الحجاج بالهودج، ومن فوقه هند التي ما كاد الطريق ينتصف حتى تلقي أمام الحجاج بدينار من ذهب، ثم تصيح:

يا حمال: لقد سقط مني درهم.

فتناوله الحجاج من الأرض قائلاً: إنه ليس درهمًا، ولكنه دينار!

فتجيبه هند في تشف الحمد لله الذي أبدل بدرهمي دينارًا.

ويبتلع الحجاج على مضض منه تلك الإجابة القاتلة .. إنها زوجة أمير المؤمنين[1] .

٢- **زواج المأمون ببوران:**

فقد فرش دار الخلافة باللآلئ الثمينة، وطلب من النساء المدعوات أن يكرمن بوران بتناول ما يردنه من هذه اللآلئ.

ولما حضر هذا العرس القادة والأمراء ألقى المأمون عليهم أوراقًا تحمل أسماء قرى، أخذ كل منهم القرية التي كانت نصيبه، ولم يطل بقاء هذا الزواج طويلاً فمات.

٣- **زواج قطر الندى:**

ابنة خمارويه، وزوجة الخليفة المعتضد:

دكة من أربع قطع من الذهب، عليها قبة من ذهب مشبك، في كل عين من التشبيك قرط مغلق فيه حبة من الجواهر، لا يقدر بقيمة، وكان في الجهاز معه هاون من الذهب يدق فيها العود، والطيب! وألف دكة ثمن الواحدة منها عشرة دنانير، ولم يكتف خمارويه بهذا الإسراف فيما أعده من جهاز لابنته، فقد غالى كذلك في الإنفاق على انتقالها من مصر إلى بغداد؛ فأمر بأن تبنى لها على رأس كل مرحلة من الطريق للعروس في سفرها من الراحة وأسباب الرفاهية.

وذكر ابن خلكان أن مقدار صداق - مهر - قطر الندى بلغ مليون درهم.

---

(١) تحفة العروس(٦٤) .

وليس هذا بالشيء الكبير إذا قيس بما أنفقه خمارويه في هذا العرس، ويكفي أن نذكر أن ابن الخصاص وهو الجواهرجي الذي عهد إليه بإعداد الجهاز نال وحده جائزة قدرها أربعمائة ألف دينار.

٤- زواج أولاد الخديوي إسماعيل:

وتجلت نزعة إسماعيل ومن حوله في الشغف بالترف والإسراف والبذخ في (جهاز) العرائس بناته الأربع؛ فقد بلغ من الفخامة مبلغًا يعجز عنه الوصف حيث جمع أثمن الحلي والجواهر المرصعة بالماس والياقوت، ومجموعات كثيرة من الأواني الذهبية، والأطقم المصنوعة من الكهرمان الخالص مطوقة بالأحجار النادرة.

وصفت أعمدته بالياقوت والزمرد والفيروز، وعلى هذا درج أحفاده: كزواج فاروق من فريدة، ثم من ناريمان، وزواج الأميرة فايزة من شاه إيران السابق محمد رضا بهلوي.

٥- وها هي فتاة أرغمها أهلها على الزواج:

من شاب صاحب منصب ومال، ولكنه ليس صاحب دين وخلق، بل ويشرب الخمر، فسافر بها لقضاء شهر العسل في أحد فنادق لبنان، فأجبرها على الشرب في الليلة الأولى قبل الدخول بها فسكرت وسكر، ثم خرجت من غرفتها لقضاء الحاجة، ولما رجعت دخلت غرفة غير غرفتها بسبب السكر، وكان فيها رجل فافترسها، وبقيت عنده إلى الصباح، وكان زوجها قد استسلم للنوم نتيجة السكر.

فكان ما كان مما لست أذكره فظن شرًا ولا تسأل عن الخبر

٦- وهذا زواج الجمال والشياكة:

يحكى أن أعرابية تقدم لخطبتها شاب فأعجبها جماله، ولم تفكر في أخلاقه وسلوكه، فنصحها والدها بعدم صلاحه، لم ترض، فأكد عليها عدم قبوله، فرفضت أخيرًا وتزوجته.

وبعد شهر من زواجها زارها أبوها في دارها، فوجد جسدها عليه علامات الضرب من زوجها؛ فتغافل عنه وسألها:

كيف حالك يا بنيتي؟

فتظاهرت بالرضا؛ فقال لها أبوها:

وما علامات الضرب في جسمك؟!

فبكت ونحبت طويلا، ثم قالت: ماذا أقول لك يا أبتاه؟

إنني عصيتك واخترته، دون أن أفكر بأهمية الأخلاق، وحسن المعاملة[١].

٧- **ويروى عن الأصمعي أنه قال:**

أخبرني رجل من أصحابه، وكان مقلاً، فخطب إليه مكثر من مال، مقلٌ من عقل، فشاور فيه رجلاً يقال له أبو يزيد فقال:

لا تفعل، ولا تزوج إلا عاقلاً ديِّنًا، فإنه إن لم يكرمها لم يظلمها، ثم شاور فيه رجلاً آخر يقال له أبو العلا، فقال له: زوجه فإن ماله لها، وحمقه على نفسه.

فزوجه؛ فرأى ما يكره في نفسه، وفي ابنته. فقال:

لهفي إذ عصيت أبا يزيد	ولهفي إذ أطعت أبا العلا
وكانت هفوةً من غير ريح	وكانت زلقة من غير ماء[٢]

□★□★□

---

(١)المصدر السابق (٦٣: ٦٥)

(٢)حديث بين زوجين (٣٠)

مطلقة على أبواب الثامنة عشرة

كنت صبية في السادسة من عمري، لم تفارقني آثار الطفولة بعد.. فلم أكن أتردد عن اللعب بالماء في حديقة منزلنا.. أما دميتي فلم تزل رفيقتي حتى اليوم منذ أن كان لي من العمر ست سنوات.. لا أهنأ بنوم إلا بجانبها.. ويغمرني الفرح حينما أبتكر لها تسريحة، أو ألبسها فستانًا جديدًا.

وكنت وحيدة والديَّ ، فقد حظيت باهتمامهما الفائق، ودلالهما الزائد، لا سيما ونحن أسرة ميسورة.. كان دلالهما يؤخر نضوجي، ويؤجل انتهاء مرحلة طفولتي إلى حين.. وهكذا مرت الأيام، ملؤها اللهو والفرح والسرور، حتى جاء اليوم الذي أخبرتني فيه أمي بالمفاجأة: لقد خطبك جارنا لابنه، وهو كما تعلمين.. صاحب أكبر شركة سيارات.. ستسافران إلى الخارج لقضاء شهر العسل، وستسعدين بإذن الله، وفي الغد سنذهب إلى السوق لنشتري ما تريدين، وبكل عطف وحنان قالت: وفقك الله يا بنيتي!

لم أكن في الحقيقة أعرف معنى الزواج، ما شرحته لي أمي.. سفر ومغامرة وسعادة، وخروج إلى السوق في كل يوم.. ! رأيت أنه شيء لا بأس به، وما هي إلا أيام معدودة حتى أصبحت زوجة.. نعم زوجة.. بعد احتفالات مهيبة، وفساتين رائعة، ومجوهرات ثمينة، وفرقة غناء تناسب مقام أسرتي، وأسرة زوجي.

ثم سافرت إلى أوربا لشهر كامل، ومرت الأيام سعيدة هنية، حتى عدنا إلى أرض الوطن، وهنا بدأت الحقائق تتساقط على رأسي الواحدة تلو الأخرى.. اكتشفت أن زوجي لم يكمل تعليمه كما أخبرنا.. وهو لا يعمل، بل يعتمد في مصروفه على والده، كما أنه لا يصلي ولا يعرف طريق المسجد.. ورحت في ربيع عمري أتعرض لنسمات حارقة من قسوة زوجي وفظاظته، حتى ذهبت نضارتي، ونحل جسمي، وازددت بؤسًا وتعاسة حين اكتشفت أني حامل.. لم يكن يهمني أن زوجي لم يكمل تعليمه، أو أنه لا يعمل.. ولكن ما لم أعد أحتمل قسوته المفرطة، وعدم تورعه عن ضربي وإهانتي لأتفه الأسباب!

عدا سهره الدائم خارج المنزل.. وعدم إحساسي بالأمان إلى جانبه كما ينبغي لكل زوجة.. فكرهت حياتي برمتها، ولم يعد أمامي سوى طلب الطلاق، والدعاء بالمغفرة لوالدي الذي زوجني دون سؤال عن أخلاق الزوج ودينه، ولوالدتي التي لم تسأل عن المجتمع الذي سأعيش فيه بقدر ما سألت عن قيمة صداقي، والهدايا والعطايا.. وهكذا أدركت لماذا ينبغي على الناس أن يسألوا عن صلاح الزوج، وتقواه وورعه، وليس عن منصبه وجاهه وماله.. إذ أن من يخشى الله فسوف يتقيه، ويخافه في أقرب الناس إليه وهي زوجته.

وها أنا اليوم أعيش بعد طلاقي منه بين جدران شهدت عهد طفولتي، كما شهدت عهد شقائي.. وأحمل وسامًا يحرق فؤادي.. وسامًا تشقى به كل مطلقة: إنه الطلاق، أنا الطفلة البريئة المدللة، غدوت اليوم مطلقة، أرمق بعيون ملؤها الشك والريبة، وأُعاب بما ليس لي فيه ذنب، ولا خطيئة، هذا الوسام الذي وسمني به والدي عندما زوجني وأنا لست أهلاً للزواج، من رجل يحمل المال.. فقط..!

مطلقة، كلمة ترميني في دهاليز الآلام والحزن.

ولكن برغم ذلك كله لن أيأس، وسأبدأ حياتي من جديد، وأكمل دراستي.. وسألتحق بحلقات تحفيظ القرآن، ومجالس الذكر، ولن أقبل إلا بمن يحفظ القرآن... كاملاً[1].

❑★❑★❑

(١) مجلة المجتمع العدد (١٠٨٢)

أيها الآباء.. أيتها الأمهات

﴿إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾

الزواج علاج الفقر

قال الشيخ: فضل إلهي حفظه الله:

الفقر من أهم العوائق التي تعترض النكاح، وقد يكون الفقر حقيقيًا، كما قد يكون مفتعلاً[(١)]، ولقد عالج الإسلام كلاً من هذين النوعين من الفقر، وسنذكر بإذن الله تعالى.

أولاً: معالجة الإسلام مشكلة الفقر الحقيقي.

ثانيًا: معالجة الإسلام مشكلة الفقر المفتعل.

مخصصين مطلبًا لكلٍ من هذين الموضوعين.

المطلب الأول

معالجة الإسلام مشكلة الفقر الحقيقي

أولاً: الدعم المعنوي للفقير الذي يريد الزواج:

الفقر آفة إذا سلبت الفقير ثقته في الاعتماد على نفسه، جنح إلى الظن بأنه عاجز عن تحمل المسئوليات، وتوهم أن من الملائم لظرفه هذا الإحجام عن الزواج عن هذا من جانب، ومن جانب آخر فالفقر يحجب عن كثير من الفقراء العديد من خصالهم الحسنة، فلا يرى الناس فيهم إلا فقراء، ويعتبرون هذا نقصًا وخللاً في أهليتهم للزواج، وسنبين فيما يلي بإذن الله الدعم المعنوي الذي يقدمه الإسلام بشأن كل من هذين الجانبين.

(١) ونقصد بالفقر الحقيقي: أن الشخص الذي يريد الزواج لا يستطيع تحمل النفقات اللازمة لمناسبة الزواج، ونعني بالفقر المفتعل أن الشخص الذي يريد الزواج يستطيع تحمل النفقات العادية للزواج، لكنه يريد أن يسرف في النفقات، أو يجبر على هذا من قبل الآخرين فيصبح عاجزًا عن الزواج بسبب النفقات الباهظة.

أ- تشجيع الفقير على الإقدام على الزواج:

أما الجانب الأول فعالجه الإسلام بحث الفقير على الإقدام على الزواج، غير مستسلم لفقره، فيقول الله ﷻ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٢].

يقول ابن العربي في تفسير هذه الآية:

في هذه الآية دليل على تزويج الفقير، ولا يقولن كيف أتزوج، وليس لي مال، فإن رزقه ورزق عياله على الله تعالى، وقد زوج النبي ﷺ الموهوبة من بعض أصحابه، وليس له إلا إزار واحد[١].

كما فسر القاضي أبو السعود هذه الآية بقوله:

إزاحة ما يكون وازعًا عن النكاح من فقر أحد الجانبين، بأن لا يمنعن فقر الخاطب أو المخطوبة من المناكحة، فإن في فضل الله ﷻ غنية عن المال؛ فإنه غاد ورائح يرزق من يشاء من حيث لا يحتسب[٢].

وذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية:

أن أبا بكر الصديق ﷺ قال: أطيعوا الله فيما أمركم به من النكاح ينجز لكم ما وعدكم من الغنى قال الله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ﴾[٣].

وذكر أبو بكر الجصاص قول عمر بن الخطاب ﷺ أنه قال: ما رأيت مثل من يجلس أيمًا بعد هذه الآية: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ[٤] مِنكُمْ﴾ التمسوا الغناء (الغنى) في الباءة[٥].

---

(١) أحكام القرآن لابن العربي (٣/ ١٣٦٨).

(٢) تفسير أبي السعود (٤/ ٥٦).

(٣) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٨٧).

(٤) الأيامى: جمع أيم: هو من لا زوج له من الرجال والنساء: وبكرًا كان، أو ثيبًا، قال أبو عبيد: رجل أيم، وامرأة أيم، وأكثر ما يكون ذلك في النساء، وهو كالمستعار في الرجال. نقلاً من تفسير القرطبي (١٢/ ٣٣٩)، وتفسير أبي السعود (٤/ ٥٦).

(٥) أحكام القرآن للجصاص (٣ / ٣٢٠).

وقد عنون الإمام البخاري في صحيحه بابًا أسماه:

باب تزويج المعسر لقوله تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾.

ويقول الحافظ ابن حجر في شرح قول الإمام البخاري:

إن الآية تعليل لحكمة الترجمة، ومحصله أن الفقر في الحال لا يمنع التزويج لاحتمال حصول المال في المآل، والله أعلم[1].

ويثير الإمام ناصر الدين أحمد الإسكندري المالكي تساؤلاً، ثم يجيب عنه فيقول:

معنى الآية: بأن الله تعالى يغني من تزوج إن شاء الله، فلو قال قائل: نرى بعض من يتزوج ولا يجد الغنى.

قلنا: لم يشأ الله إغناءه ولو شاء لأغناه.

فلو قيل: إذا كانت المشيئة معتبرة في غنى المتزوج؛ فهي أيضًا معتبرة في غنى الأعزب، فما معنى ربط وعد الغنى بالناكح، مع أن حال الناكح منقسم في الغنى على حسب المشيئة، فمن مستغن به، ومن فقير، كما أن حال الناكح منقسم؟

فالجواب وبالله التوفيق:

أن فائدة ربط الغنى بالنكاح هو أنه قد ركز في الطباع السكون إلى الأسباب، والاعتماد عليها، والغفلة عن المسبب جل وعلا، حتى غلب الوهم على العقل، فخيل أن كثرة العيال سبب يوجب الفقر حتمًا، وعدمها سبب يوفير المال جزمًا، فأريد قطع هذا الخيال المتمكن من الطبع بالإيذان بأن الله تعالى قد يوفر المال وينميه مع الكثرة في العيال التي هي سبب في الأوهام لنفاد المال، وقد يقدر الإملاق (الفقر) مع عدمه؛ الذي هو سبب الإكثار عند الأوهام، والواقع يشهد لذلك بلا مراء[2].

---

(١) فتح الباري (٩/ ١٣١).

(٢) الانتصاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال (٣/ ٦٣ - ٦٥) باختصار.

ومن تفسير الآية من قبل الأئمة الكرام يتضح:

أولاً: أن الله ﷻ وعد بإغناء المتزوج إن شاء.

ثانيًا: أنه ليس هناك تلازم بين الزواج والفقر، ولا بين كثرة العيال والفقر، فالمعطي والمغني هو الله تعالى، إذا شاء أعطى المتزوج وصاحب العيال أكثر مما يجده الأعزب[1].

وعلى ضوء ما تقدم، لا ينبغي للفقير أن يتأخر عن الزواج بسبب الفقر، فالفقر ليس من لوازم الأمور التي لا تنفك عن صاحبها، بل هو عارض يرجى زواله من حين إلى آخر بفضل الله المعطي المغني.

وإلى جانب وعد الله للفقير بأن يغنيه إذا تزوج، فقد رتب سبحانه وتعالى للناكح الذي يريد العفاف حقًا في أن يعينه، كما أخبر به الصادق المصدوق ﷺ؛ فقد روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ثَلاثَةٌ حَقٌّ عَلَى الله عَوْنُهُمْ: النَّاكِحُ يُرِيدُ العَفَافَ، وَالمُكَاتِبُ يُرِيدُ الأَدَاءَ، وَالغازي فِي سَبِيلِ الله»**[2].

يقول العلامة عبد الرحمن المباركفوري في شرح الحديث:

ثابت عند الله تعالى إعانتهم، أو واجب عليه بمقتضى وعده معاونتهم.

- الفقر ليس بنقص يزدرى الشخص بسببه:

وأما الجانب الآخر؛ وهو ازدراء شخص لأجل الفقر، فيقرر الإسلام أن الفقر ليس مما يُزدرى لأجله شخص، فكم من فقراء هم أفضل وأشرف من كثير من الأغنياء، فقد روى الإمام البخاري عن سهل رضي الله عنه قال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: **«مَا تَقُولُونَ فِي هَذا؟»** قالوا: حري إن خطب أن ينكح، وإن شفع أن يشفع، وإن قال: أن يُسْمَع. قال: ثم سكت فمرّ رجل من فقراء المسلمين، فقال: **«مَا تَقُولُونَ فِي هَذا؟»** قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع ألا يشفع، وإن قال أن لا يُسْمَع. فقال الرسول ﷺ: **«هَذا خَيْرٌ مِنْ مِلْءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذا»**[3].

---

(١) جامع الترمذي، مع تحفة الأحوذي (٣/ ١٥) ورواه أيضًا النسائي، وابن ماجه.

(٢) تحفة الأحوذي شرح الترمذي (٣/ ٥).

(٣) فتح الباري (٩/ ١٣٢).

وهكذا أوضح النبي الكريم ﷺ التصور الإسلامي عن الفقير، أن الفقر ليس مما يزدرى به شخص.

إلى جانب هذا فقد أرشد النبي ﷺ أمته العزيزة إلى أن لا يكون المال أو الفقر في ذاتهما سببًا لقبول خاطب أو رده، كما أنه لا ينبغي أن يكون أيهما سببًا للرغبة في بنت أو الإعراض عنها.

أما عن الخاطب فقد روى الإمام الترمذي عن أبي هريرة ﷺ أنه قال: قال رسول الله ﷺ «إِذا خَطَبَ إِلَيْكُمْ مَنْ تَرْضَوْنَ دِينَهُ وَخُلُقَهُ فَزَوِّجُوهُ إِلا تَفْعَلُوا تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ عَرِيضٌ»[١] [٢] [٣].

ويقول الشيخ عبد الرحمن المباركفوري في شرح الحديث:

وذلك لأنكن إن لم تزوجوها إلا من ذي ما أو جاه ربما يبقى أكثر نسائكم بلا أزواج، وأكثر رجالكم بلا نساء، فيكثر الافتتان بالزنا، وربما يلحق الأولياء عار[٤]؛ فتهييج الفتن والفساد يترتب عليه قطع النسب، وقلة الصلاح والعفة[٥].

وأما بالنسبة للرغبة في البنات لأجل المال، والإعراض عنهن بسبب الفقر؛ فقد روى الإمام البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»[٦].

يقول الحافظ ابن حجر في شرح الحديث:

المعنى: أن اللائق بذي الدين والمروءة أن يكون الدين مطمع نظره في كل شيء، لا سيما فيما تطول صحبته، فأمره ﷺ بتحصيل صاحبة الدين الذي هو غاية البغية[٧].

---

(١) عريض: أي ذو عرض. أي كبير.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) ومما يؤسف له أن الناس ما اهتموا بهذه الوصية النبوية، وجعلوا المال معيار الرد والقبول لطلب الخاطب، فتأخر الزواج، فبقي كثير من الرجال والنساء بدون زواج، فانتشر الفساد، وكثر الزنا وإلى الله الشكوى.

(٤) قلت (محمد): ووالله هذا هو الواقع وما الزواج العرفي في الجامعة منا ببعيد.

(٥) تحفة الأحوذي (٢/ ١٦٩).

(٦) فتح الباري (١/ ١٣٢).

(٧) المصدر السابق (٩/ ١٣٥).

الدعم المادي للفقير الذي يريد الزواج

قال الشيخ فضل إلهي - حفظه الله:

لم يقتصر الإسلام على تقديم الدعم المعنوي للفقراء الذين يريدون الزواج، بل قدم لهم الدعم المادي كذلك، من ذلك أنه ألقى على عاتق الآباء مسئولية تزويج أولادهم، وأمر المجتمع الإسلامي بمساعدة من يريد الزواج من الفقراء، وجعل للدولة الإسلامية تقديم المساعدة لهم.

أ- واجب الآباء في تزويج الأولاد:

أما مسئولية الآباء في تزويج الأولاد فقد روى الإمام البيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ وُلِدَ لَهُ وَلَد، فَلْيُحْسِنْ اسْمَهُ، وَأَدَبَهُ، فَإِذا بَلَغَ فَلْيُزَوِّجْهُ، فَإِنْ بَلَغَ وَلَمْ يُزَوِّجْهُ فَأَصَابَ إثمًا، فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى أَبيهِ»**(١) وفي رواية أخرى للإمام البيهقي أيضًا عن عمر بن الخطاب وأنس بن مالك رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال: **«في التوراة مكتوب: من بلغت ابنته اثنتي عشرة سنة ولم يزوجها فأصابت إثمًا فإثم ذلك عليه»**(٢) (٣).

يقول ابن قدامة في المغني: ويلزم الرجل إعفاف ابنه إذا احتاج إلى النكاح، وهذا ظاهر مذهب الشافعي(٤).

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان نقلاً من مشكاة المصابيح بتحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني(٢/ ١٧٠).

(٢) المرجع السابق.

(٣) وليس معنى الحديثين بأن الولد الزاني بريء من إثم الزنا، بل المعنى أن الأب يعتبر مشاركًا في الإثم مع الولد الزاني أو البنت الزانية، وهذا إذا كان الوالد مقصرًا في تزويج الأولاد، أو عائقًا في سبيل زواجهم، والله أعلم.

(٤) المغني(٧ / ٥٨٧).

ب- مسئولية المجتمع الإسلامي عن تزويج الأيامى:

أما عن مسئولية المجتمع عن تزويج الأيامى، فقد أمر الله ﷻ: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ﴾ [النور: ٣٢].

يقول الإمام القرطبي في تفسير هذه الآية: «زوجوا من لا زوج له منكم؛ فإنه طريق التعفف»[(١)].

ويظهر من كتب الحديث أن مساعدة الأيامى كان أمرًا مألوفًا في عصر النبي ﷺ، ونكتفي بذكر حديث على سبيل المثال، فقد روى الإمام أحمد بن حنبل عن بريدة ﷺ قال: لما خطب عليّ فاطمة ﷺ، قال قال رسول الله ﷺ: «إِنَّهُ لا بُدَّ لِلْعُرْسِ مِنْ وَلِيمَةٍ» قال: فقال سعد: عَلَيَّ كبش، وقال فلان: علي كذا وكذا من ذرة[(٢)].

جـ- مسئولية الدولة عن تزويج الأيامى:

جعل الإسلام للدولة الإسلامية تقديم المساعدة للراغب في الزواج إذا عجز عن تحمل نفقاته، وتتمثل مساعدة الدولة للراغب من الفقراء في الزواج في صورتين: إما أن تيسر له وسيلة الحصول على المال الحلال الذي يكفي للزواج، وأما أن تعينه من بيت المال.

ومن قبيل تيسير الدولة سبل الحصول على المال الحلال للراغبين من الفقراء ما رواه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني تزوجت امرأة من الأنصار، فقال له النبي ﷺ: «هَلْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا؟ فَإِنَّ فِي عُيُونِ الأَنْصَارِ شَيْئًا».

قال: قد نظرت إليها. قال: «عَلَى كَمْ تَزَوَّجْتَهَا؟» قال: على أربع أواق[(٣)]، فقال له النبي ﷺ: «عَلَى أَرْبَعِ أَوَاقٍ؟ كَأَنَّمَا تَنْحِتُونَ[(٤)] الفِضَّةَ مِنْ عَرْضِ هَذَا الجَبَلِ[(٥)]، ما

(١) تفسير القرطبي(١٢/ ٢٣٩).

(٢) المسند(٥/ ٣٥٩).

(٣) أواق: أواق جمع أوقية. والأوقية كانت قديمًا عبارة عن أربعين درهمًا.

(٤) تنحتون: أي تقطعون وتقشرون.

(٥) عرض: جانب. ومعنى ذلك كراهة إكثار المهر بالنسبة لحال الزوج.

عِنْدَنَا مَا نُعْطِيكَ، وَلَكِنْ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ فِي بَعْثٍ تُصِيبُ مِنْهُ» قال: «فَتَبْعَثْ بَعْثًا إِلَى بَنِي عَبْسٍ بَعْثَ ذَلِكَ الرَّجُلِ فِيهِمْ»[١].

وأما ما تقدمه الدولة من إعانة من بيت المال للراغب من الفقراء في الزواج إذا خاف الوقوع في الفاحشة، فسنده ما قاله العلماء: إن من تمام الكفاية ما يأخذ الفقير ليتزوج به، إذا لم تكن له زوجة، أو احتاج إلى النكاح[٢].

ويؤيد هذا أسلوب إنفاق عمر بن الخطاب ﷺ من بيت مال المسلمين، فقد روى أبو عبيد القاسم عن عاصم بن عمر ﷺ قال: لما زوجني عمر، أنفق علي من مال الله شهرًا، ثم قال: يا يرفأ أحبس عنه، قال: ثم دعاني؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإني لم أكن أرى هذا المال يحل لي إلا بحقه، ولم يكن أحرم علي منه حين وليته، وعاد أمانتي، وقد أنفقت عليك من مال الله شهرًا، ولن أزيدك عليه[٣].

فهذا عمر بن الخطاب ﷺ - أمير المؤمنين - المعروف المشهود له بشدة احتياطه، لولا إيمانه بمسئولية الدولة الإسلامية في تزويج الأيامى، ما كان لينفق على ابنه من بيت المال، وكذلك كان الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز بدوره يهتم بتزويج الأيامى، فذكر أبو عبيد القاسم بن سلام في كتابه الأموال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وهو بالعراق: أن أخرج للناس أعطياتهم.

فكتب إليه عبد الحميد: إني قد أخرجت للناس أعطياتهم وقد بقي في بيت المال مال.

فكتب إليه: انظر كل من أدان في غير سفه ولا سرف، فاقض عنه.

فكتب إليه: إني قد قضيت عنهم وبقي في بيت مال المسلمين مال فكتب إليه: أن انظر كل بكر، وليس له مال فشاء أن تزوجه، فزوجه وأصدق عنه[٤].

---

(١) صحيح: رواه مسلم (٢/ ١٠٤٠).

(٢) هامش مطالب أولى النهى في شرح غاية المنتهى (٢/ ١٤٧).

(٣) كتاب الأموال (٢٣٢).

(٤) المصدر السابق (٢٥١).

معالجة الإسلام لمشكلة الفقر المفتعل

أسباب الفقر المصطنع:

١- المغالاة في المهور.

٢- الاعتقاد الخاطئ في أن المهر يؤمن مستقبل البنت

٣- الإسراف في تجهيز الأثاث.

٤- بذل الأموال الطائلة بمناسبة الولائم وحفلات الزواج.

السبب الأول:

المغالاة في المهور:

جعل الإسلام من المهر رمزًا لتكريم المرأة، ولم يجعله عائقًا في سبيل النكاح.

ولعله لأجل هذا لم يضبطه بحد لا يزيد ولا ينقص، بل ترك تحديده إلى الناس، كل واحد على قدره، ورغب النبي ﷺ: في أن يكون المهر مما يدفع بيسر، فقد روى عقبة بن عامر ﷺ، قال: قال النبي ﷺ: «خَيْرُ الصَّدَاقِ أَيْسَرَهُ»[1] وقال ﷺ للرجل الذي طلب منه أن يزوجه بامرأة قد وهبت نفسها للنبي ﷺ: «اذْهَبْ فَالْتَمِسْ وَلَوْ خَاتَمًا مِنْ حَدِيدٍ»[2].

وهكذا أوجب الإسلام المهر، لكن لم يجعله عائقًا في سبيل النكاح، ومع هذا، فالناس يغالون في المهور لدرجة أصبح معها المهر عائقًا في سبيل النكاح، مما ترتب عليه أن بقي كثير من الشباب بدون زواج، رغم رغبتهم الشديدة فيه.

فالعاقل على ضوء ما تقدم هو الذي يسعى إلى الحصول على البركة في نكاح بنته باليسر، وليس الذي يتشدد في طلب المال الكثير؛ فيقلل من بركة النكاح... والله أعلم.

---

(١) سنن أبي داود(١٠/ ١٤٦) (المطبوع مع بذل المجهود) والحاكم في المستدرك(٢/ ١٨٢) وصححه، واللفظ له.
(٢) فتح الباري(٩/ ١٧٥).

ولهذه المغالاة أسباب كثيرة من أهمها ما يلي:

أ- اتخاذ المغالاة في المهور مظهرًا للافتخار والمباهاة بالشرف:

يصر بعض الناس على المغالاة في مهور بناتهم لتصورهم أنها آية الافتخار والاعتزاز، وهذا التصور غير صحيح؛ ذلك أن من الأمور المسلمة أن الشرف في البذل والعطاء والمسامحة والتيسير على الآخرين، لا في الأخذ والطلب من الآخرين، والتشدد عليهم، ورغم أن هذا من البديهيات التي لا ينكرها أحد إلا أن هؤلاء لا يأبهون له؛ فيتسببون في إثارة المشاكل التي لا تقف آثارها لدى الخاطب وحده، بل تتجاوزه إلى ابنتهم أيضًا.

محمد رسول الله ﷺ وهو سيد البشر، أكرم وأشرف خلق الله، كيف كان أسلوبه في هذا الصدد، لنستمع إلى ما يقوله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ: ألا لا تغالوا في مهور النساء؛ فإنها لو كانت مكرمة في الدنيا، وتقوى عند الله لكان أولاكم بها نبي الله ﷺ، ما علمت رسول الله ﷺ نكح شيئًا من نسائه، ولا أنكح شيئًا من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية[١] [٢].

ب - سعي الولي إلى التكسب من وراء المهر:

من أبرز العوامل للمغالاة في المهور أن بعض الأولياء يريدون كسب المال الكثير باسم المهر، ويجعلون مقدار ما يدفعه الخاطب المعيار الوحيد لقبول الخاطب أو رده.

وكم من بنات ليس عليهن إلا أن ينتظرن حتى يجد آباؤهن من يقدم لهم المبالغ الكبيرة.

وبهذا يبقى الشباب والشابات بدون زواج، وهذا مدعاة لانتشار الفساد.

ويقودنا ما سلف إلى أن نتساءل في ضوء الشريعة الإسلامية الغراء: لمن المهر؟

وهل يجوز للوالد والأولياء أن يأخذوا المهر؟

---

(١) أوقية: تعادل أربعين درهمًا، وبالريال السعودي أحد عشر ريالاً، وبالجنيه المصري أحد عشر جنيهًا.

(٢) رواه أحمد والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجه، والدرامي نقلاً عن مشكاة المصابيح (٢/ ١٨٩) وقال الشيخ ناصر الدين الألباني: وإسناده صحيح.

بل هل لهم أن يجعلوا المال المعيار الوحيد لإجابة الخاطب أو رده؟

يقول الله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النساء: ٤] فأضاف الله تعالى الصَّدُقَاتِ إليهن، والإضافة فيها إضافة ملك، وهذا يدل على أن المهر ملك المرأة، ولا يجوز لأحد سواها، سواء كان أباها، أم كان غيره، أن يتصرف فيه، أو أن يأخذه.

هذا وقد ذكر بعض المفسرين أن الآية نزلت لمنع أولياء البنت من أن يأخذوا مهرها، فقد ذكر الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: عن أبي صالح قال: كان الرجل إذا زوج ابنته أخذ صداقها دونها؛ فنهاهم الله عن ذلك، ونزل: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحۡلَةٗ﴾ [النساء: ٣٢] رواه ابن أبي حاتم وابن جرير.(١)

قال الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمه الله:

إن مشكلة غلاء المهور في زماننا هذا من أكبر المشاكل التي يجب الاعتناء بحلها، وذلك لما يترتب على غلاء المهور في زماننا هذا من أضرار كثيرة، نخص بالذكر منها ما يأتي:

١- قلة الزواج التي تفضي إلى كثرة الأيامى، وانتشار الفساد.

٢- الإسراف والتبذير المنهي عنهما شرعًا.

٣- غش الولي لوليته بامتناعه عن تزويجها بالكفء الصالح الذي يظن أنه لا يدفع له صداقًا كثيرًا، رجاء أن يأتي من هو أكثر صداقًا، ولو كان لا يرضى دينًا ولا خلقًا، ولا يرجى للمرأة الهناء عنده، وهذا مع كونه غشًا، فيه العضل الذي يعتبر من تكرر منه فاسقًا، ناقص الدين، ساقط العدالة حتى يتوب(٢).

ومن المفيد أن نشير إلى أن علماء الغرب يقررون أن من أهم العوامل في انتشار الفاحشة كان إصرار الآباء على أخذ الأموال الكثيرة تحت اسم مهور بناتهم..

يقول وول ديورانت: وتصبح العفة التي كانت فضيلة موضعًا للسخرية، ويختفي الحياء الذي كان يضفي على الجمال جمالاً، ويفاخر الرجال بتعدد خطاياهم، وتطالب النساء بحقها في الانغماس في مغامرات غير محدودة على قدم المساواة مع الرجال...

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٥٢).

(٢) مجموعة ثلاث رسائل (١٠٠).

ثم يقول: ولا نزاع في أن ذلك يرجع إلى حد ما إلى ما كان يقتضيه الآباء المغرمون ببناتهم من مهر غال ثمنًا لعفتهن، وقت أن كان الزواج يُشترى صراحة[1].

فهل للآباء أن يقلعوا عن المغالاة في المهور قبل أن يظهر في مجتمعنا الإسلامي ما ظهر في الغرب من فساد، وانتشار الفاحشة.

السبب الثاني:

الاعتقاد الخاطئ في أن المهر يؤمن مستقبل البنت:

يعتقد بعض الناس أن المغالاة في المهر ضمان لمستقبل البنت، لكنهم ينسون أنهم بمغالاتهم هذه يثيرون الحقد والغضب في نفس الخاطب، فما قيمة المال إذن، ولو كان لضمان مستقبل البنت، إذا كانت سببًا في إثارة الحقد في الحياة العائلية؟

لقد قال عمر بن الخطاب ﷺ:

ألا وإن أحدكم ليغالي بصداق امرأته حتى يبقى له في نفسه عداوة حتى يقول: كلفت لك علق القربة[2] أو عرق القربة[3]، وأخبر الصادق المصدوق ﷺ كما روى الإمام أحمد عن عائشة ﷺ قالت: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ أَعْظَمَ النكَاحِ بَرَكَةً أَيْسَرُهُ مُؤْنَةً**»[4]

---

(١) مناهج الفلسفة (١٢٧ – ١٢٨) باختصار.

(٢) علق القربة: أي تحملت لأجلك كل شيء حتى علق القربة، وهو حبلها الذي تعلق به عرق القربة: أي تكلفت إليك، وتعبت حتى عرقت كعرق القربة، وعرقها: سيلان مائها، وقيل: أراد تكلفت لك ما لم يبلغه أحد، وما لا يكون؛ لأن القربة لا تعرق. (النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٢٩٠ – ٢٢١)

(٣) سنن الدرامي (٢/ ١٤١).

(٤) مسند أحمد (٦/ ٨٢) ورواه أيضًا البيهقي في شعب الإيمان، انظر مشكاة المصابيح (٢/ ١٦١).
يقول الإمام الشوكاني في شرح الحديث: فيه دليل على أفضلية النكاح مع قلة المهر، وأن المهر القليل مندوب إليه، لأن المهر إذا كان قليلاً لم يستصعب النكاح من يريده؛ فيكثر الزواج المرغب فيه، ويقدر عليه الفقراء، بخلاف ما إذا كان المهر كثيرًا؛ فإنه لا يتمكن منه إلا أرباب الأموال، فيكون الفقراء الذين هم الأكثر في الغالب غير متزوجين. [نيل الأوطار (٦/ ١٩٠، ١٩١) بالاختصار].

السبب الثالث:

الإسراف في تجهيز الأثاث:

من العوائق التي تعترض سبيل النكاح، التصور الخاطئ لدى البعض بضرورة توافر الأثاث الضروري، وغير الضروري.

هذا الأمر الذي يعقد الشباب، ويجعلهم يترددون كثيرًا في الإحجام عن أمر الزواج.

لقد عالج الإسلام هذا الأمر، ونهى عن التباهي والتفاخر، وبين النبي ﷺ بعمله أن تجهيز الأثاث لا ينبغي فيه التكلف ولا التفاخر.

روى الإمام النسائي عن علي رضي الله عنه يقول: جهز رسول الله ﷺ فاطمة رضي الله عنها في خميل[١] وقربة ووسادة حشوها اذخر[٢] [٣].

وهكذا جهز سيد الأولين والآخرين ﷺ ابنته العزيزة عليه، وهي التي قال عنها: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بُضْعَةٌ مِنِّي[٤] يُؤْذِينِي مَا آذاهَا»[٥].

وكم من مشكلات تفجرت، وزيجات تفككت قبل إتمامها بسبب الأثاث، فاللهم لا عيش إلا عيش الآخرة.

❐★❐★❐

(١) خميل: على وزن كريم: هي القطيفة، وهي كل ثوب له خمل من أي شيء كان.

(٢) إذخر: بكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تسقف بها البيوت فوق الخشب نقلا عن النهاية لابن الأثير (١/ ٣٣).

(٣) سنن النسائي بشرح الحافظ السيوطي (٦/ ١٣٥).

(٤) بضعة: بفتح الباء وهي قطعة اللحم.

(٥) صحيح: رواه مسلم (٤/ ١٩٠٣).

السبب الرابع:

بذل الأموال الطائلة بمناسبة الولائم:

وهذا من الأمور المنهي عنها، فلقد شرع رسول الله ﷺ دعوة الوليمة، بمناسبة الزواج لما فيها من شهرة النكاح، وترغيب الآخرين في الزواج.

على أن بعض الناس ممن يغيرون الغرض من الوليمة فينفقون فيها الأموال الطائلة متخذين من الإسراف فيها علامة على الشرف والافتخار، يرى صاحب الدخل المتوسط هذا كله فيتمنى أن ينفق مثل ما أنفقوا، ويخشى أن يطالب من قبل أسرة البنت بالمبالغة في الإنفاق بهذه المناسبة، لكنه لا يجد ما ينفق فيعرض عن النكاح، وهكذا تحولت دعوة الوليمة إلى عقبة في سبيل النكاح، بدل أن تكون ترغيبًا للزواج.

لقد نهى الله تعالى عن الإسراف في جميع الأمور؛ حيث يقول عز من قائل: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ [الإسراء: ٢٦، ٢٧].

وقد أرشد النبي الكريم ﷺ أمته إلى البساطة في الولائم بعمله، ننقل هنا بعض الروايات من صحيح البخاري تعرض لنا صورة ولائم سيد الخلق ﷺ، فقد روى منصور بن صفية عن أمه صفية بنت شيبة، قالت: أولم النبي ﷺ على بعض نسائه بمُدَّيْنِ من شعير[(١)].

ويروي أنس رضي الله عنه قصة وليمة أخرى للرسول ﷺ فيقول: أقام النبي ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثًا يبنى عليه بصفية بنت حيي، فدعوت المسلمين إلى وليمته، فما كان فيها من خبز ولحم، أمر بالأنطاع فألقي فيها من التمر والإقط والسمن، فكانت وليمته[(٢)] [(٣)].

❑★❑★❑

---

(١) فتح الباري (٩/ ٢٣٨).

(٢) المصدر السابق (٩/ ٢٢٤).

(٣) التدابير الواقية من الزنا (٩٩: ١٢٠) باختصار.

كلام مهم جدًا للآباء والأمهات

وقد ناشد بعض علماء الغرب الآباء أن يسهموا في تزويج أولادهم، وذلك بعد ما شاهدوا الفساد المترتب على تأخير الزواج.

فيقول وول ديورانت: ولكن الأب الحذر، والأم الغيور يسألان الشباب في سخط، كم يكسب من المال، يبيح له متابعة هذا الغرام المجنون (الزواج)، ويبدو أن حكمة الجيب هي التي تكون فلسفة الوالدين الأساسية، وهما في منتصف العمر، ولكنهما ينسيان شهوتهما الخامدة، ولا يخطر ببالهما أن عاطفة الشباب قد تسوغ أمورًا لا يستطيع عقل الشيخ فهمها، فالجيل الأكبر سنًا إذا هو الأكثر بعدًا عن الأخلاق.

يجب عليهم أن يضعوا المال في المرتبة الثانية بالنسبة إلى سعادة وصحة الفرد والجماعة، وأن يتعاونوا مع الطبيعة، وأن يقدموا بعض التضحية يتمكن بها أبناؤهم من الزواج المبكر، وإلى أن تسود، هذه النظرة، فلنا أن نرد أخلاقيات الشباب إلى فلسفة الآباء التجارية[1].

قلت: هذا هو الواقع، فالعمل اليوم أصبح.

معك كم تساوي كم؟

ما الوظيفة؟

ما الإمكانيات؟

كم ستدفع مهرًا؟

بكم ستشتري الشبكة؟

كم ثمن الموبيليا؟

أين سيقام حفل الزفاف؟

هذا هو الواقع الذي يبحث عنه الآباء والأمهات، أما الشباب والفتيات فلهم أن يلهوا ويعبثوا، أما أمر الزواج فهو مشروط بشروط الكبار.

ومن هنا تأتي المصائب.....

---

(١) مناهج الفلسفة: (١٢٩ – ١٣٠).

أرجى عمل

قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك.

قال: كنت في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فآبى.

فجاءتني امرأة فقالت: يا أبا عثمان إني قد هويتك، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني.

فأحضرت أباها - وكان فقيرًا - فزوجني منها، وفرح بذلك.

فلما دخلت إليها رأيتها: عوراء عرجاء مشوهة.

وكانت لمحبتها لي تمنعني من الخروج، فأقعد حفظًا لقلبها، ولا أظهر لها من البغض شيئًا، وكأني على جمر الغضا من بغضها.

فبقيت هكذا خمس عشرة سنة حتى ماتت، فما من عملي شيء هو أرجى عندي من حفظي قلبها[١].

❐★❐★❐

(١) صيد الخاطر (٣٤٩).

الخاتمة

نسأل الله حسنها

وأخيرًا فأيها الآباء، وأيتها الأمهات:

هل من عودة للنهج الإسلامي الحميد لإيجاد زواج إسلامي سعيد.

لقد انتشر الزواج العرفي بين طلبة الجامعات، وبين طلبة المرحلة الثانوية نتيجة لارتفاع تكاليف الزواج الباهظة، وتعنت الآباء والأمهات في الشروط التي يلقون بها على كاهل الشاب، في الوقت الذي يكاد الشاب أن يجد عملاً بعد فترة بحث وعناء، ولا يستطيع أن يلبي هذه الطلبات إلا بعد عشر سنوات متصلة من العمل الشاق ليلاً ونهارًا.

عباد الله...!

يسروا ولا تعسروا....

فبذلك أمر النبيﷺ فقال: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبَ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ»[1]

هذا هو شرع الله، وهذه سنة رسول اللهﷺ ، وهذا هدي السلف الصالح رضوان الله عليهم في الزواج.

ولا سعادة ولا نجاح ولا فلاح إلا باتباع نهجهم، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

اللهم تولنا بعنايتك.. وارحمنا برحمتك.. اللهم اجعل خير أعمالنا ما قارب آجالنا.. اللهم ارزقنا قرة العين من زوجة وولد.. اللهم اجعل ما نعمله لمرضاتك في ميزان حسناتنا.. اللهم يا مُقَلِّبَ القلوب والأبصار ثبت قلوبنا على دينك. ﴿رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف: ٨٩].

---

(١) صحيح: رواه مسلم(٢٦٩٩) .

اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين
وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك

وكتبه الراجي عفو ربه
محمد عوض عبد الغني
غفر الله له ولوالديه
ولمشايخه وللمسلمين



□★□★□

المراجع

١- دلائل النبوة - الإمام البيهقي - رحمه الله.

٢- بداية المجتهد - ابن رشد - رحمه الله.

٣- الفوائد الكبرى - الكهنوي - رحمه الله.

٤- غذاء الألباب - السفاريني - رحمه الله.

٥- مجموع الفتاوى - ابن تيمية - رحمه الله.

٦- مجموعة ثلاث رسائل - محمد بن إبراهيم - رحمه الله.

٧- عودة الحجاب - محمد بن إسماعيل - حفظه الله.

٨- جولة في رياض العلماء - عمر الأشقر - حفظه الله.

٩- أسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير - رحمه الله.

١٠- صفة الصفوة - ابن الجوزي - رحمه الله.

١١- سيرة عمر بن عبد العزيز - ابن الجوزي - رحمه الله.

١٢- البداية والنهاية - ابن كثير - رحمه الله.

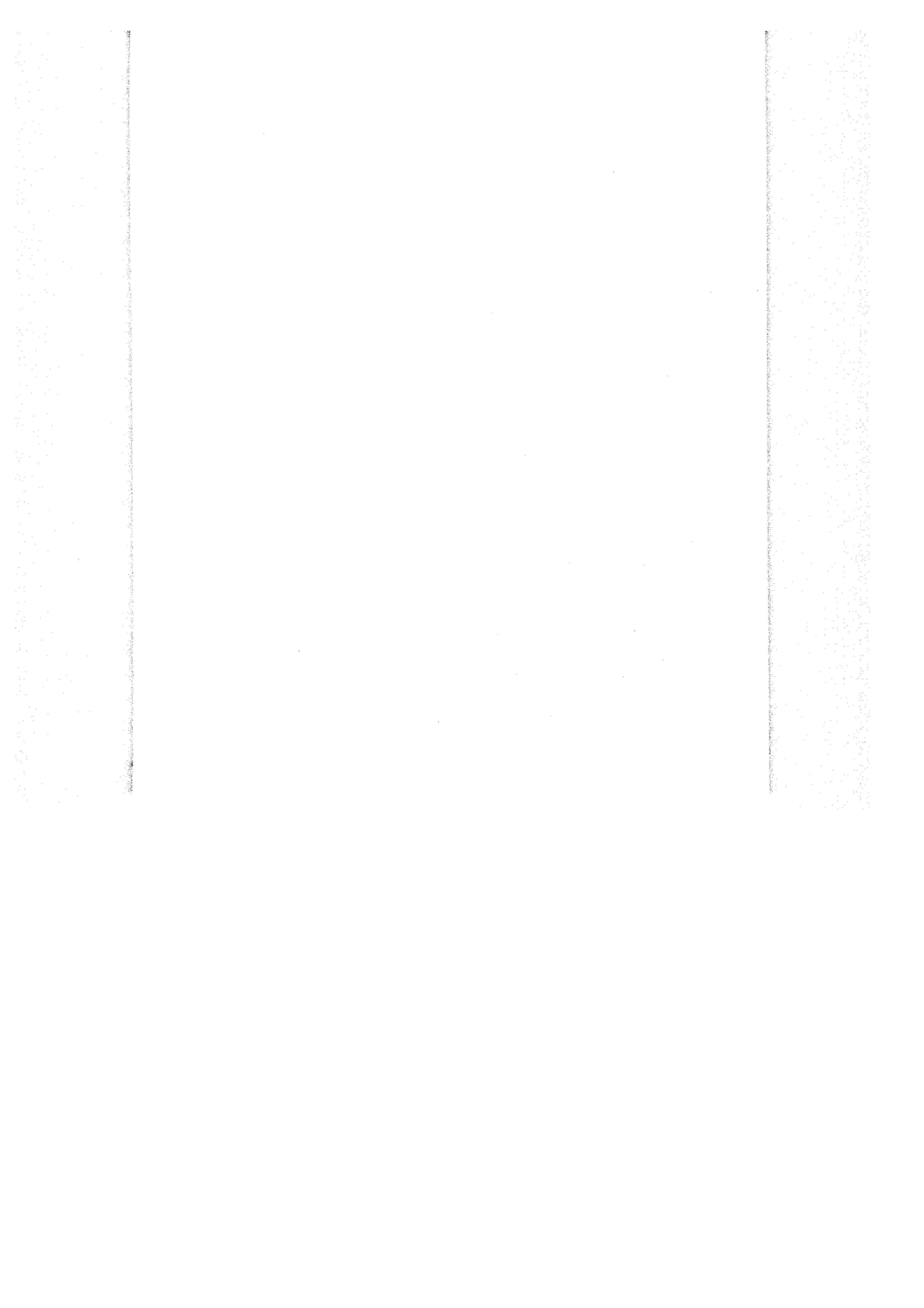
١٣- الاعتبار - أسامة بن منقذ - رحمه الله.

١٤- ذيل طبقات الحنابلة - ابن رجب الحنبلي - رحمه الله.

١٥- حياة الصحابة - محمد يوسف الكاندهلوي - رحمه الله.

١٦- صور من حياة الصحابة - عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله.

١٧- صور من حياة الصحابيات - عبد الرحمن رأفت الباشا - رحمه الله.



المحتويات